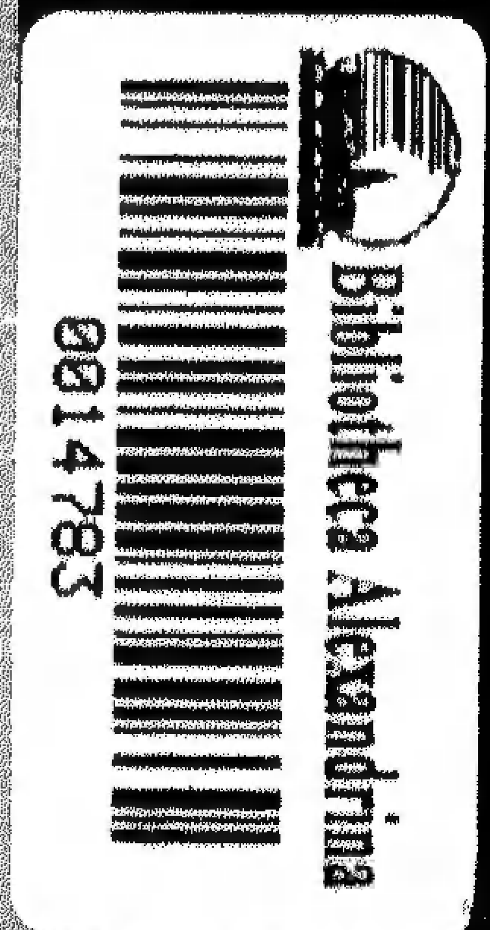
دار الكتب المصرية
القسم الأدبي


الفاضل


لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

تحقيق
عبد العزيز الميمني
رئيس القسم العربي بجامعة كراتشي بالباكستان

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة







الفاضل

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد



دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

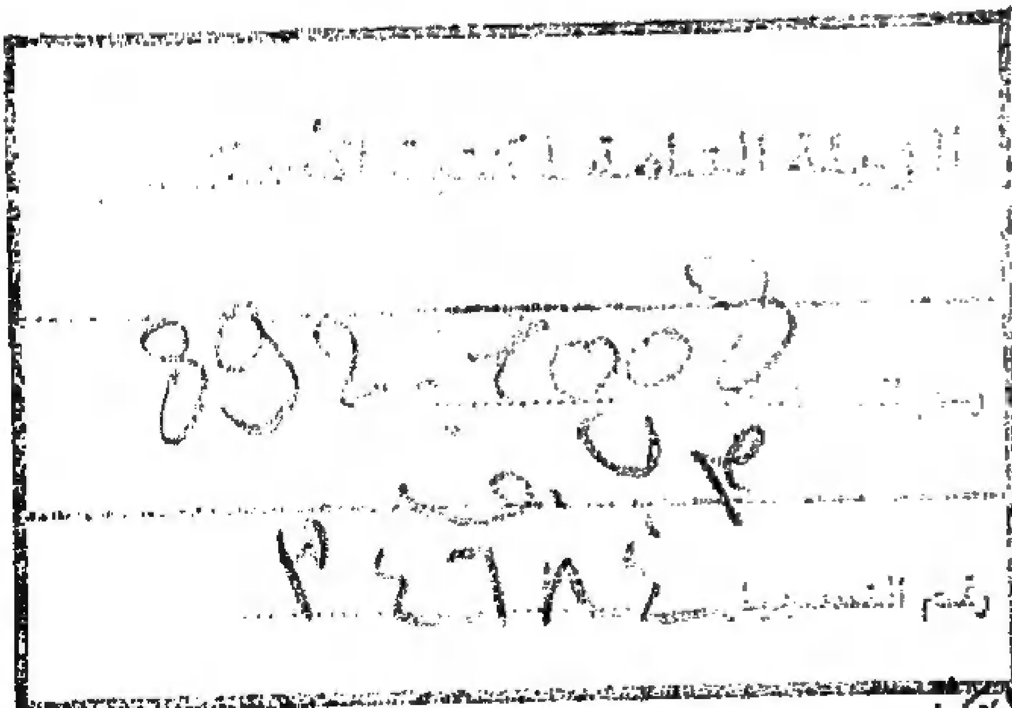
الفاضل

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد

تحقيـــق

عبد العزيز الميمنى

رئيس القسم العربى بجامعة كراتشى بالباكستان



الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٥

المبرد ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، ٨٢٦ـ ٨٩٩
الفاضل / لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد؛
تحقيق عبدالعزيز الميمنى. ـ ط٢. ـ القاهرة:
دار الكتب المصرية ، ١٩٩٥.
٤ ، ١٦٥ ص : ٣٠سم.
تدمك ١-٤٢٢٧-٠١-٩٧٧

٨١٠٫٨

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب

١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب

١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كتاب الفاضل هو ثالث الكتب التى حققها الأستاذ عبد العزيز الميمنى وقدّمها لدار الكتب المصرية لتقوم بطبعها ونشرها ؛ وقد تم نشر اثنين منها من قبل : هما ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، وديوان حميد بن ثور .

وهو أيضا ثالث الكتب التى حقّقها الأستاذ الميمنى ونشرها من تأليف أبى العباس محمد بن يزيد الثمالى المعروف بالمبرّد ؛ وأولها كتاب نسب قحطان وعدنان ، وثانيها ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .

وقد جرى المبرّد فى هذا الكتاب على نحو ما جرى عليه فى كتابه الكامل ؛ من إيراد مصفّى الشّعر ، ومنخول النثر ، وروائع الخطب ، وبليغ الرسائل ، وطريف الأخبار ، وغريب اللغة والنوادر .

وهذا النص لم يُنشرْ من قبل ؛ بل لعلّه لم يكن ممّا عُرِف من الكتب التى تداولها العلماء والأدباء ، ممّا خلفه القدماء عامّة ، والمبرّد خاصّة ، على نفاسة الكتاب ، وجلالة قدر مؤلّفه .

وقد عثر عليه الأستاذ الميمنى — فيما يَذكر — أثناء تطوافه بخزائن إستانبول فى مكتبة أسعد افندى ، من مكاتب السليمانية تحت رقم ٣٥٩٨ ، فصوّرها ، ثم كتبَها بخطّه ، وحقق نصوصَها ، وخرّج ما فيها من الأشعار والأمثال والأخبار ، وحرّرها وعلّق عليها ، وأعانه على ذلك كثرةُ محفوظه ، ووفرةُ اطّلاعه ، و بصرُه باللغة وآدابها ، وخبرتُه الواسعة بكتبها وأسفارها ، ثم قدّمه للدار فى صورة علمية محقّقة .

وحينما تهيأ للدار أن تقوم بطبع الكتاب، رأت أن تضيف إلى تحقيق الأستاذ الميمنى مزيدا من التعليق والضبط، وشرح بعض الألفاظ، والتعريف بما أبهم من الأعلام، جريا على منهج الدار فيما تنشره من نصوص. فعهدتْ إلى أستاذنا العلّامة الكبير أحمد يوسف نجاتى القيامَ بهذا العمل، فقام به — وهو الثقة الثَّبت الجليل — وأضاف إلى تحقيق العلّامة الميمنىّ الكثيرَ من ثمرة قراءاته، وتضلّعه فى فنون الأدب، وتنقيبه عن غرائب اللغة ونوادرها، ووضع تعليقاته فى الحاشية بين علامتى الزيادة [ ]، تمييزا لها عن تعليقات الأستاذ الميمنىّ.

وقد قام الأستاذ الميمنى بعمل فهارس للشعراء، والشعر المجهول، والأرجاز؛ ثم قام القسم الأدبىّ بعمل بقيّة الفهارس التى أُلحقتْ بآخر الكتاب.

ولا شكّ أن نصّا يتوفّر على تحريره وتحقيقه الأستاذان: الميمنىّ ونجاتى، لمّا يدعو إلى غبطة العلماء والباحثين الّذين عرَفوا قدر الأستاذَين وسَبْقهما فى حَلْبة اللغة والأدب.

* * *

هذا، ولم نجد فى الأصل المخطوط ما يدل على عنوان الكتاب، سوى ما جاء فى خاتمة النسخة: «كمل فاضل المبرّد». وبالرّجوع إلى ثَبَت الكُتُب التى أوردها ابن النديم وياقوت وغيرهما ممّن ترجم للمبرّد لم نجد له كتابا مفردًا باسم «الفاضل»؛ وذُكر له ضمن كتبه كتاب «الفاضل والمفضول»؛ وهو عنوان بعيد عن موضوع الكتاب؛ فساورنا الشّكُّ فى تسميته، كما ساور محققه الجليل[(1)]؛ ثم علمنا بوجود كتاب باسم «الفاضل» فى مكتبة جامعة إستانبول، فأرسلت الدار فى تصوير نسخة منه؛ آملين أن نكشف النّقابَ عن عنوان الكتاب. وبالرجوع إلى هذه النسخة

(1) انظر تعليق الأستاذ الميمنى ص ١٢٥

تبين أنها لكتاب مجهول المؤلف ، غير الذى بين أيدينا ويتضح من سنده انه من علماء القرن الثالث ، ويروى كثيرا عن أبى عصيدة أحمد بن عبيد بن ناصح من علماء الكوفيين ، جاء فى أوله : « أطال الله فى ظل أفياء السلامة بقاءك ، وحجب عن غير نوائب الدهر نعماءك ... فصنعت لك كتابا ... ... ، ضمنته موجزات الخطب ، ومنتخب بلاغات العرب ، مما حفظ من ملح كلامها ، ومختصر لفظها ، وموجز خطبها ، وبراعة أدبها ، ونادر خطابها ... وترجمته بكتاب الفاضل ، لفضله على كل كامل » . وأبوابه تختلف عن أبواب هذا الكتاب ، ويقع فى إحدى وعشرين ورقة ، مكتوب بخط حديث ، وهذه النسخة ناقصة من آخرها .

***

وقد رئى بعد إنعام النظر واستشارة بعض العلماء والباحثين أن ينشر بعنوان « الفاضل » استئناسا بما جاء فى آخر نسخة الأصل .

ولعل الزمن — فيما بعد — يكشف عن نسخة أخرى تميط اللثام عن عنوان الكتاب .

ومن الله جل شأنه نسأل التوفيق والسداد ،،

محمد أبو الفضل إبراهيم
مدير القسم الأدبى

ديسمبر سنة ١٩٥٥

فهــرس الموضــوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستفتح

الحمد لله الذى آفتتح بالحمد كتابَه ، وألهمه عبادَه ، وجعله مستزيدا لهم من فضله ، وذريعةً إلى ما قرّب منه وأزلف عنده . وصلّى الله على محمد نبيّه وخاتم رسله ، وصفوته من خلقه ، وخيرته من عباده ؛ صلاةً تُزلفه لديه ، وتُحظيه عنده ؛ وسلّم تسليما .

إن الله عزّ وجل خلق خلقه لعبادته ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عمّا حرّمه ، ووعدهم رحمته ، وحذّرهم عقابه ، فكان أحسنَهم طاعة له ، وأشدَّهم تقرّبا منه ، وأبعدَهم مما حرّمه ونهى عنه العلماءُ ، وذو [و] العقل والفضل من خلقه ؛ فإنه يُروَى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال] : "إن الله يعاقب العاقل بما لا يعاقب به الجاهل" . ففضّل الله جلّ آسمه ذِكرَ العالِم فى زمانه على سائر نظرائه من خلقه ، وجعله قدوة لأهل عصره ، وذِكراً لمن يبقى بعده .

من ذلك ما يُروَى أنّ الأحنف بن قيس رأى الناس بالبَصْرة يقصِدون الحسن البصريّ فى أمورهم ، ويسألونه عن أحوال دينهم ؛ فقال : كادت العلماء أن يكونوا[1] أربابا ؛ وكلّ عِزّ لم يوطّد بعلم فإلى ذلّ يصير .

ويروى من غير وجه : سمعنا أن زيد بن ثابت أتى عبد الله بن عباس فتلقّاه عبدُ الله ، وأخذ بركاب بغلته حتى نزل عنها ، فلامه زيدٌ على ما فعله ، فقال : كذا أُمِرنا

(١) من الهامش ؛ والأصل « أن تكون » .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استفتح

الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابه، وألهمه عباده، وجعله مستزيدا لهم من فضله، وذريعةً إلى ماقرّب منه وأزلف عنده. وصلّى الله على محمد نبيّه وخاتم رسله، وصفوته من خلقِه، وخِيرته من عباده؛ صلاةً تُزلِفه لديه، وتُحظيه عنده؛ وسلّم تسليما.

إنّ الله عزّ وجل خلق خلقه لعبادته، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عمّا حرّمه، ووعدهم رحمته، وحذّرهم عقابه، فكانَ أحسنَهم طاعة له، وأشدَّهم تقرّبا منه، وأبعدَهم مما حرّمه ونهى عنه العلماءُ، وذو[و] العقل والفضل مِن خلقه؛ فإنّه يُرْوَى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال]: "إن الله يعاقب العاقل بما لا يعاقب به الجاهل". ففضّل الله جلّ اسمه ذكرَ العالِم فى زمانه على سائر نظرائه من خلْقه، وجعله قدوة لأهل عصره، وذكرًا لمن يبقى بعده.

من ذلك ما يُرْوَى أنّ الأحنف بن قيس رأى الناس بالبَصْرة يقصِدُون الحسن البصريّ فى أمورهم، ويسألونه عن أحوال دينهم؛ فقال: كادت العلماء أن يكونوا(١) أربابا؛ وكلّ عِزٍّ لم يوطّد بعلم فإلى ذلّ يصير.

ويروى من غير وجه: سمعنا أن زيد بن ثابت أتى عبد الله بن عباس فتلقّاه عبدُ الله، وأخذ بركاب بغلته حتى نزل عنها، فلامه زيدٌ على مافعله، فقال: كذا أمرَنا

(١) من الهامش؛ والأصل «أن تكون».

رسولُ الله صلّى الله عليــه أن نفعل بعلمائنا . فقال له زيد : أُدن منّى ، فدنا منه ، فقبّل يده ثم قال : كذا أمَرنا رسولُ الله صلّى الله عليه أن نفعل بأهل بيته .

وإنما سلك زيدٌ فى ذلك ما يُروى أن رسولَ الله صلى الله عليه قال : " لا يحلّ لأحد أن يقبِّل يدَ أحدٍ إلّا يدَ عالم أو يدَ رجل من أهل بيتى " . ويُروَى أنّه قال : " إذا كان يوم القيامة قيل للعابد قم فآدخل الجنّة ، ويقال للعالم : قم فاشفع " . وقال عليه السلام : " فضل العِلم خيرٌ من فضل العَمَل " .

وقال الله جل ثنــاؤه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ . فجعل ــ عزّ آسمُه ــ العالِمين بحدوده هم الخائفين من عقابه ، وأولياءَه وأهلَ طاعته .

ثم أفضل العلم ما عُمِل به ، وآنتُفع بثمرته ، فإنه يقال : إن أبعدَهم من الله عالمٌ لا يُنتفَع بعلمــه . وقال بعضُ الحكماء : فلانٌ أحوجُ إلى كذا مِن علم إلى عمــل ، ومن قولٍ إلى فعل ، ومن قدرةٍ إلى عفو ؛ وعلى ذلك قول الشاعر :

لا خيرَ فى القول إلّا الفعل يَتبعُــه   والفعــلُ للقــول ما أتبعتَــه أَدَمُ(١)

وقال سَلْمان : إنّك لن تكون عالمــا حتى تكون به متعلّما ، ولن تكون بالعلم عالمــا حتى تكون به عاملا .

ولكنّ الله ــ جل ذكره ــ لم يُؤتِ عبادَه من العــلم إلا قليلا ، فمن لم يكن نصــيبه فى ذلك القليل كالمحتوى على أكثره ، ولم يكن أغلبَ الخصال عليه عقلُه ، وأشرفَ ما يعتقده عليــه تقواه لم يعدّ فاضلا . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : " قيمة كل آمرئ ما يُحسِن " .

---

(١) الأصــل : « كسحب » مشكولا .

وللعالِم سقطات ، وللتّقى هفوات . وكان ابن عمر[1] يقول : إذا ترك العالِم قولَ « لا أدرى » أصيبت مَقاتلُه .

وقال علىّ رحمة الله عليه : يا بَرْدَها على الكبِد من عالم يقول : « لا أدرى » !

وأحسن ما رُوى فى جِبِلّة الإنسان التى جُبِل عليها كلامٌ يروَى عن علىّ رحمة الله عليه ؛ يشبَّه بكلام الأنبياء عليهم السلام ، يصدّق ذلك ما رُوى [٣] عنه أنه مسح يده على بطنه ، وقال : كُنَيِّف[2] ملئ علما ؛ أما والله لو طُرِحتْ لى وِسادةٌ لقضيتُ لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم . وكان رسول الله صلى الله عليه يقول : "أنا مدينة العلم وعلىّ بابها" . وكان كلامه فى فطرة الإنسان كلامَ مَنْ قد عرف ذلك من نفسه ، أو يقرؤه من كفّه :

وأعجب ما فى الإنسان قلبه ، وله مَوادُّ من الحكمة ، وأضداد من خلافها ، فإن سَنَح له الرجاء[3] أذلّه الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عَرَض له الغضب استبدّ به الغيظ ، وإن أُسْعِد بالرضا نَسِى[4] التحفّظ ، وإن ناله الخوف شغله الحذر ، وإن اتّسع له الأمر استلبته الغِرّه[5] ، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن عارضته فاقة فضحه الجزَع . وإن جهده الجوعُ

---

(١) فى البيان ٢ : ٤٤ : « عن ابن عباس — وروى عن ابن عمر : من قال عند ما لا يدرى لا أدرى فقد أحرز نصف العلم » . ومثله فى ١ : ٢١٢ « عن ابن عبد العزيز » .

(٢) مصغر : الكنيف بتشديد الياء أو تخفيفها ، وهو معروف من كلام أمير المؤمنين . وفى التاج « كنيف كزبير لقب عبد الله بن مسعود لقبه به عمر رضى الله عنه ... الخ » . وانظر السهيلى رقم ١ : ٣ و« ملئ » من الهامش ، والأصل « حشى » .

(٣) الأصل : « الرخاء » ، مصحفا .

(٤) الأصل « نسىّ » .

[(٥) الغرة : الغفلة وعدم النظر فى العواقب] .

قعد به الضعف، وإن أفرط فى الشّبع كَظَّتْه البِطنة . فكلّ تقصير به مضرّ، وكل إفراط له مفسد .

وأفضلُ ما قُصد له من العلوم كتاب الله — جلّ ذكره — والمعرفةُ بما حلّ فيه من حلاله وحرامه وأحكامه ، وإعرابِ لفظه وتفسير غريبه . ويروى أن المأمون أمر معلّم الواثق بالله — وقد سأله عمّا يعلّمه إياه — [أن يعلّمه](١) كتاب الله جلّ اسمه، وأن يقرئه(٢) عهدَ أَرْدَشِير، ويُحفِّظه كتاب كليلة ودمنة .

وأفضل العلوم بعدُ علمُ اللغة وإعراب الكلام، فإن بذلك يُقرأ القرآن، وعليه تُرْوَى الأخبار والأشعار، وبه يزيّن المرء كتابه، ويُحَلِّى لفظَه، قال الله عزّ وجلّ : (٤)
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ . وقال الشاعر(٣) :

النحو يُطلِق من لسان الألكَنِ والمرءَ تُعظِمه إذا لم يلحَنِ
فإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها فأجلُّها منها مقيمُ الألسنِ

وقال صلّى الله عليه وسلّم : "أعرِبوا فى كلامكم تُعرِبوا فى كتاب الله" .

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه(٤) : تعلّموا العربية تُحْرِزوا المروءة .

ولحن رجل بين يدى سليمانَ بنِ عبد الملك بعد أن فاوضه فوجده عاقلا، فقال سليمان : زيادة عقل على منطقٍ هُجْنة، وزيادة منطقٍ على عقلٍ خُدْعة . وأحسنُ الأشياء ما شاكل بعضُه بعضًا .

وكان الصدر الأوّل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه يُعرِبون طبعا، حتى خالطهم العجم ففسدتْ ألسنتهم، وتغيّرت لغاتُهم .

(١) [تكملة يستقيم بها الكلام، أثبتناها وفقا لاقتراح الميمنى فى الحاشية التالية] .
(٢) كذا، والأصل إن شاء الله : «أن يعلمه كتاب الله» .
(٣) أبوسعيد البصرى، ح الأدباء ١ : ٢٣ عن القلقشندى، ونسبه المبرد فى الكامل ٢٣٩ لإسحاق ابن خلف البهرانى، وبلا عزو فى عيون الأخبار ٢ : ١٥٧، وهى فى غرر الخصائص ١٣٩ أتم .
(٤) مثله عن الزهرى فى الأدباء ١ : ٢٠، وهذا فيه ١٩ .

ويروى أن عمر بن عبد العزيز رأى قوما من الفُرس ينظرون فى النحو فقـال : لئن أصلحتموه لأنتم أوّلُ مَنْ أفسده .

ويُروى أن رجلا قال لبعض العلماء : أسألك عن شيء من الغريب ، فقال : هو كلام القوم،[1] وإنّما أنت وأمثالك فيه غرباء .

وذُكر أن السبب الذى بُنى له أبواب النحو وعليـه أُصّلت أصولُه أن ابنـة[2] أبى الأَسوَد الدئلىّ قالت : ياأبت ما أشدُّ الحرِّ ! قال : الحَصْباء بالرَّمْضاء . قالت : إنما تعجبتُ من شدّته ، قال : أَوَ قَدْ لحَن الناس ؟ فأخبر بذلك عليّا — رحمة الله عليه — فأعطاه أصولًا بَنَى منها ، وعَمِل بعده عليها ، فأخذه عن أبى الأسود عَنْبسة بن مَعْدان المَهْرِىّ[3] الذى يقال له عنبسة الفيل .

وأبو الأسود أوّلُ من نقط المصاحف . ثم أخذ النحو عن عنبسةَ ميمونُ الأقرن ، ثم أخذه عن ميمون عبدُ الله بن أبى إسحق الحضرمىّ[4] الذى يقول فيه الفرزدق :

فلو كان عبـدُ الله مولًى هجـوتُه ولكنّ عبـدَ الله مولَى مَواليَـا

ثم أخذه عنه عيسى بنُ عمر ، وأخذه عن عيسى الخليلُ بنُ أحمد الفُرْهُودىّ[5] ، ثم أخذه عن الخليل سيبويه — واسمه عمرو بن عثمان الحارثى — ثم أخذه عن سيبويه الأخفش ، وهو سعيد بن مَسعدة المُجاشعىّ .

---

(١) فى الأصل تحته « العرب » . (٢) انظر لهذه الأخبار مقدمات طبقات النحاة للسيرافى ١٩ ، وأبى الطيب اللغوى وهى معروفة . وللسيوطى رسالة فى المعنى .

[(٣) المهرى ، فى الأصـل « النهدى » ، وهو تحريف . والمهـرى : منسوب إلى مهرة بن حيدان ؛ وإن كان عنبسة بن معدان من أهل ميسان وليس من العرب . وتوفى حوالى سنة ٩٥] .

(٤) الموشح ١٠٠ ، طبقات السيرافى ٢٧ .

(٥) وعلى الطرة « الفراهيدى » ، وفى زيادات الكامل : « لا يقال الفرهودى » . ولا أراه صحيحا .

وأفضل ما فى الإنسان المعبّر عن شأنه المبيّن لمعرفته لسانُه ،

وقال الشاعر[(١)] :

لسانُ الفتى نِصفٌ ونصفٌ فؤادُه ... فلم يبقَ إلّا صورةُ اللحم والدمِ

وكائنْ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ ... زيادتُه أو نقصُه فى التكلّمِ

وقال الآخر[(٢)] :

وما المرءُ[(٣)] إلّا الأصغران لسانُه ... ومعقولُه والجسمُ خَلْقٌ مُصوَّرُ

فإن طُرّةٌ راقتْك يوماً فربما ... أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

وقال عمرو بنُ العاص : لسان المرء قطعةٌ من عقله، وظنّه قطعةٌ من علمه . وقيل : ما الإنسان لولا اللّسان إلّا بهيمة مُهْمَلة ، أو صورةٌ ممثّلة . وقال علىّ رحمة الله عليه : المرء مخبوءٌ تحت لسانه .

وقال النمر بنُ تَوْلَب[(٤)] :

أعِذْنى ربِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ ... ومن نفسٍ أعالجُها عِلاجا

وقال آخر[(٥)] :

وما بىَ مِن عِىٍّ ولا أنطق الخَنَا ... إذا جمع الأقوامَ فى الخَطْب مَحفِلُ

---

(١) ثلاثة عند البيهق مصر ٢ : ٩٣ ، وتروى لزهير فى آخر معلقته ، والمعروف أنهما للأعور الشنى فى البصرية ، والبيان ١ : ٩٦ ، والموشى ٥ . ورواهما البحترى ١٩٩ لعبد الله بن معاوية الجعفرى . وانظر شرح الزيدونية (١٢٩٠ هـ) ٥٨ .

[(٢) البيتان ، من أبيات تنسب إلى خالد بن صفوان الأهتمى الخطيب البليغ ، من مخضرمى الدولتين . وكان خالد من سمار أبى العباس السفاح وأهل المنزلة عنده . توفى سنة ١٣٣] .

(٣) العقد ٣ : ٢٢ . (٤) الفصل من أول البيان ١ : ٢ ، وبيت النمر فيه وفى الحيوان ٢ : ١١١ من أبيات . (٥) البيان ١ : ٢ بلا عزو .

وقال أحيحة بنُ الجُلاح[١] :

والصمتُ أحسنُ بالفتى ما لم يكن عِيٌّ يَشِينُهْ
والقولُ ذو خَطَلٍ إذا ما لم يكن لُبٌّ يُعِينُهْ

(٦) وبعد معرفة النحو عِلمُ الدين، والفقه والتفقّه فيه، ومعرفة الحلال والحرام منه . وقيل للحسين : ما المروءة ؟ قال : الدّين المتوسّط .

وقال له رجل : علّمني دينا وَسُوطا، لا ذَاهِبًا فَرُوطا، ولا ساقطا هَبوطا . فقال : نعم، خير الأمور أوساطها . وأنشد أبو عبيدة[٢] :

لا تذهبنّ فى الأمور فَرَطا وكن من الناس جميعاً وَسَطا

وعلى قَدْر دين الرجل حُسْنُ مُنْقَلَبه ، وعلى حَسَب سريرته منزلتُه من ربّه . وإنما يُبِين عن الناس أعمالُهم ، ويُلحقهم بالصُّلّاح والطُّلّاح آثارهم — واعتمدْنا تأليفَ هذا الكتاب، والحثّ على طلب الأدب والترغيب فيه ، والحضّ على الإكثار منه ؛ فإنّ المستكثِرَ من شيءٍ[٣]، إن لم يدرك آخره ولم يأت على غابره استكثر من الصواب ، واستقل من الخطأ، وتزيّن به عند الناس، واستتر به من لؤم الأصل، وإنّما الإنسان بنفسه وابنُ خَبَره .

وقالت عائشة : كلّ لؤم دونه شرف فالشرف أولى به، وكل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به .

(١) البيان ١ : ٣ و٢ : ١٤٥ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، غرر الخصائص ١٣٥ .
(٢) الأشطار ثلاثة فى البيان ١ : ١٤٢ ، يخللها «لاتسألن إن سألت شططا» .
(٣) [فى الأصل : «المستكثر الإنسان» قال الميمنى] : كذا بدل (من شيء)، [ورأينا إثبات ما اقترحه الميمنى] .

وقال الشاعر[١] :

كن ٱبنَ من شئتَ وٱكتسب أدبا   يُغنيك محمـودُه عن النَّسب[٢]

وكان بعض العلمـاء إذا سال عن رجل قال : أعِصاميٌّ هـو أم عِظاميٌّ ؟ أى [أ] هو ممن يفخر بآبائه وسلفه وبمن قد مضى من أهله ، وهو خال ممّا كانوا فيه ، أم هو بنفسه ؟ كما قال الشاعر[٣] :

نفسُ عصامٍ سوّدتْ عصاما   وعلّمتـه الكـرَّ والإقـداما

* وجعلتـه مَلِكا هُمـاما *

وسنذكر فى كتابنا هذا أبوابا من كلام العرب وبعضَ ماروى عنها، ونثرا من (٧) أخبارها ، ونفصل ذلك بأشعار وأخبار من قديم وحديث وما بينهما ، ونقدّم العُذر فى تقصير إن وقع فيـه أو خلل إن لزمه ، فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمّنه ، ونسأل الله توفيقَه وحُسْنَ معونته ، ونتوكّل عليه ونسترشده ، وبه الحول والقـوة .

---

(١) أحد بيتين معروفين ، وينسبان لعلى رضى الله عنه .

[(٢) نسب السيوطىّ فى بغيـة الوعاة البيتين إلى أبى ربيعة محمويه النحوى الأصبهانى ، وزاد بعدهما بيتا ثالثا ، وهو :

لا شىء فى الأرض أنت تكسبه   أحمـد عند الأنام من أدب]

(٣) كذا بدل الراجز ، وهو النابغة الذبيانى (د) لعاصم ٧٩ ، الفاخر ١٤٥ ، الخزانة ١ : ٩٧ ، جمهرة الأشـعار ٢٩ ، وكنايات الجرجانى ١٠٨ للنعمان فيـه . والأشطار فى أمثال الضبى ٧٨ ، ٩٨ لعصام نفسه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حدثنى أبو الفضل العباس بن الفرج الرِّياشى قال : روى لنا أشياخُنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يستحسن الشعر ويستنشده من أهله ، ويُثيب عليه قائلَه . ثم يُرْوَى أن شاعرا أنشده مدحا فى الله ومدحا فيه ، فأثابه على مدحه لله ولم يثبه على مدحه له .

وكان يتمثّل بقول طَرَفة[1] : « ويأتيك من لم تزوّد بالأخبار » لأن الشعر لم يجر قط على لسانه . وقال يوما لأبى بكر رحمة الله عليه : كيف قال العباس بن مرداس[2] : « أتجعل نهبى ونهب العُبَيد بين الأقرع وعُيَيْنَة » ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله (صلّى الله عليه) : « بين عُيينة والأقرع » . قال : أليس هما سواء ! وكان يستحسن[3] :

أَلَا كُلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلُ ... وكُلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وكان يقول : " إن من الشعر لحكمةً ، وإنّ من البيان لسحرا " . وكان حسان بن ثابت شاعرَه . ويروى أنّه أنشده فى كلمة له[4] يقول فيها :

---

(١) من المعلقة .

(٢) السيرة ٨٨١ ، الروض ٢ : ٣٠٩

(٣) لبيد ، د ج ٢ رقم XLI البيت ٩ ، وهو من شواهد النحو ، والسيوطى ٥٥

(٤) لا يوجد فى رواية ابن حبيب ولا فى السيرة .

لو لم تكن فيــــه آياتٌ مُبَيّنــــةٌ   كانت بَداهتُــه تُنْبيـك بالخبرِ (٨)

فأُعجِب بذلك، صلّى الله عليه وسلّم، وأثاب حسانا ودعا له .

ويروى أنه قيل لحسّان بعد موت رسـول الله عليه السلام[(١)] : ما بالُك لا ترْثِى رسول الله عليه السلام ؟ قال : لأنى أستقلّ كلّ شىء يجيئنى فيه .

وروى أبو عبيدة قال : كان ابن عبّاس يقول : إذا أشكل عليكم الشىءُ من القـرآن فارجعوا فيه إلى الشـعر فإنه ديوان العرب . وكان يُسأل[(٢)] عن القرآن فيُنْشِد الشعر .

وسئل عن الزّنيم، فقال : هو الدّعىّ الملصَق[(٣)]، ألم تسمع إلى قول الشاعر[(٤)] :

زَنــيمٌ تــداعاه الرجالُ زيادةً   كما زيدفى عرض الأديم الأكارعُ

وسئل عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَاللَّيْـلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ . قال : وما جمع ، ألم تسمع إلى قول الراجز :

إنّ لنـا قلائصا حقائقا[(٥)]   مُسْتَوْسَقاتٍ لو يجـدْن سائقا

وكان يفسر قوله : ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ . قال : بالأرض، ألم تسمع إلى قول أميّة بن أبى الصّلْت الثّقفىّ[(٦)] :

فذاك جزاءُ ما عمِـلوا قديمـا   وكلٌّ بعــد ذلكمُ يــدومُ
وفيهـا لحمُ ساهــرةٍ وبحــر   وما فاهــوا به لهــمُ مقيــمُ

(١) وعلى الهامش بدله : « الصلاة » .   (٢) مسائل نافع عنه توجد تامة فى إستنبول ودار مصر . وساقها فى الإتقان ١ : ١١٢ ؛ وكلها بطريق ابن دأب ، وبعضها فى مقدمة جمهرة الأشعار .

(٣) وتحته « الملزق » .   (٤) الإتقان ١ : ١٢٦ ، وهو للخطيم التميمى ، جاهلى ، عن ابن برى . وفى الكامل ٥٦٧ لحسان .   (٥) وعلى الهامش « نقانقا » كما فى اللسان ، وهو فى الكامل ٥٦٦ ، وفى الإتقان ١ : ١٢٤ لطرفة ، وفى اللسان للعجاج ، وهو فى زيادات (د) برقم ٣٦ ، والأزمنة ٢ : ١٧٥ .

(٦) البيت الثانى فى كلمته عند العينى ٢ : ٣٤٦ ود (١٣٥٢ هـ) ص ٥٤

وتحدّث عمر بنُ شَبَّة قال[١] : بينما ابن عباس فى المسجد الحرام وعنـده ناس من الخـوارج وابن الأزرق يسائلونه إذ أقبـل عمر بنُ عبـد الله بن أبى ربيعة فقال : أنشدنا ، فأنشَدَه :

أمن آل نُعْـم أنت غادٍ فمُبـكِرُ غَـداةَ غـدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّـرُ

حتى جاء على آخرها . فأقبل عليه ابن الأزرق فقال : تالله يابن عباس[٢] ، إنا نضْرِبُ إليك أكباد الإبل عن أقاصى البلاد لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل علينا ، ويأتيك

(٩) مُتْرَف من مُتْرَفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أيْمَا إذا الشمسُ عارَضتْ فيَخْـزَى وأمّا بالعشىِّ فيَخْسَرُ

فقال ابن عبّاس : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ : فأنشده :

رأتْ رجلًا أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعشىّ فيَخْصَرُ

فقال : ما أراك إلّا وقد حفظتَ هذا البيت ، قال : نعم ! وإن شئتَ أن أنْشِدَك القصيدة كلَّها كما [أنشَدَك] أنشدتك ، قال : نعم ، فانّى أشاء ، فأنشَدَه القصيدة حتى جاء على آخرها ، ثم أقبل على عمر فقال : أَنْشِد ، فأنشَدَه[٣] :

* تَشِـطّ غـدًا دارُ جيرانِنـا *

فقال ابن عبـاس :

* وللدّار بعـدَ غـدٍ أبعدُ *

فقال : كذا قلت ! قال : كذا يكون — إن شاء الله — فاضطرب ابن أبى ربيعة وخجل ، فقال له ابن عباس : إنما عَنيتُ أنّك أنتَ قلتَه ، قال : ياعمّ ، فكيف علمتَ ؟ فقال : لا يكون بعد هذا إلّا ذا .

(١) الخبر على طوله فى الكامل ٥٧٠ ، والرائية أوّل كلمة فى (د) .
[(٢) فى الكامل للمبرّد : « لله أنت يابن عباس ! »] .
(٣) الكلمة فى غ (الدار) ١ : ٨٤ و (د) رقم ١٤٦ .

ويروى أنّ أعرابيًا سأله عن قول الشاعر[١] :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا * وما عُلّم الإنسانُ إلّا ليَعْلَمَا

من الّذى قاله ؟ ومن عُنِى به ؟ قال : عمرو بن حُمَمة الدوسىّ ، قضى على العرب ثلاثمائة سنة وهو ابنُ سبعين ، فألزموه السادسَ من ولد ولده حيث كبِر ، فجعل بينه وبينهم أمارةً إذا اختلط أن يَقرع له العصا ليرتدع . فذلك قول المتلمّس :

* لذى الحِلمِ قبل اليوم ما تُقرَع العصا *

ويُروى أنّ رسول الله صلى الله عليه سمع كعب بنَ مالك بنَ أبى كعب الأنصارىّ ينشد[٢] :

ألا هَل أتى غسّان عنّا ودوننا … من الأرض خَرق غَوْله متتعتِعُ[٣]
مجالدُنا عن جِذْمنا[٤] كلّ فَخْمة … مُدرّبةٍ[٥] فيها القوانس تلمَعُ

فقال صلى الله عليه : " لا تقل عن «جِذمنا» وقل «عن ديننا» ". فكان كعب يقرأ كذلك ويفتخر بذلك ، ويقول : ما أعان رسول الله صلى الله عليه أحدا فى شعره غيرى . (١٠)

وحدثنى الرياشىّ فى إسناد قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه المدينة اجتمعت عليه الأنصار ، وجعلوا يخبرونه عن أمورهم ، قال : وأنشده حسّان[٦] :

وقد أروحُ أمَامَ الحىِّ مُنْتَطِقًا … بصارمٍ مثلِ لونِ المِلْحِ قطّاعِ

---

(١) المتلمس (د) رواية الأثرم رقم ا ب ٨ ومنه المثل " إن العصا قرعت لذى الحلم " . انظر له ولأوّل من قرعت له الميدانى طبعاته ا : ٣٢ ، ٢٥، ٣٣ ، السهيلى ١ : ٨٦ ، التبريزى ١ : ١٠٨ ، كنايات الجرجانى ٨١ . ولعمرو ترجمة فى الأصابه ٥٨١٩ ، والمعمرين رقم ١٥ ، وسمط اللآلى ٧٦٧

(٢) السيرة ٦١٣ ، السهيلى ٢ : ١٥٦ (٣) متمتع : مضطرب ، ومتتعتع : متردد .
(٤) وهو فى نسخ السيرة «عن ديننا» . (٥) الخشنى : مدربة ، من الدربة ، ومذربة بالمعجمة : محدّدة . (٦) (د) CLII وأصلنا على «يدفع» : يحفز كالديوان ، وتحت ذباب «نجاد» كالديوان أيضا ، وهما كالديوان فى غ (الدار) ا : ١٦٦

يدفع عنى ذبابَ السيف سابغةٌ ... مَوّارةٌ مثلَ مَوْرِ النِّهْى بالقاعِ
فى فتيةٍ كسيوف الهند أوجُهُهم ... لا يَنْكُلُونَ إذا ما ثـوَّب الداعى

قال : ورسول الله صلى الله عليه يتبسّم، فظنّ أن تبسّمه لما يسمع من وصفه مع ما هو عليه من جبنه . وذكر الزبير أن قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا ، ولكنه أقعده عن الحرب أنّ أَكْحَله قد قُطع، فذهب منه العملُ فى الحرب، وأنشد الزبير قولَ حسّان[1] :

أضرَّ بجسمى مَرُّ الدُّهور ... وخان قِراعَ يدِى الأكْحَلُ
وقد كنت أشهد وقعَ الحروب ... ويحمرّ فى كَفِّىَ المُنْصُلُ
ورثنا من المجد أكرومةً ... يُوَرِّثُها الآخِرَ الأوّلُ

وحُدِّثت عن الأصمعى قال : الدليل على أن حسّانا لم يكن جبانا من الأصل أنه كان يهاجى خَلْقا فلم يعيّره أحد منهم .

وكان أبو بكر الصديق رحمة الله عليه — فيما يروى — شاعرا، وعمر شاعرا، وعلىّ أشعر الثلاثة . وينشد لعلىّ عليه السلام[2] :

(١١) فلو كنّا إذا مِتنا تُرِكنا ... لكان الموتُ راحةَ كلِّ حىّ
ولكنّا إذا متنا بُعِثنا ... فنُسأل بعد ذا عن كلّ شىّ

وكانت عائشة رحمها الله تفسر قول رسول الله صلى الله عليه : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أحدكم قَيْحا حتى يَرِيَهُ (من الوَرْى) خير له من أن يمتلئ شعرا » . قالت : يعنى الهجاء منه .

(١) لعله من الكلمة CCXX فى (د) ، ولم أعرفه .

(٢) لأبى دلف فى المنام ، محاسن البيهق ٢ : ١٤ مصر ، الوفيات (ترجمة القاسم) ، مروج المسعودىّ (المعتصم) ، والسماقى (الكرجى) .

وسمع أبو بكر يوما قولَ لبيد[1] :

أخًا لِيَ أمّا كلَّ شيء سألتُه　　فيعطِى وأمّا كُلَّ ذنبٍ فيَغفِر

فقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه .

وحدّثنى الرّياشىّ قال : أنشد منشد أبا بكر قولَ زهيرٍ فى هَرِم بنِ سِنان :

أَنْ نِعْـمَ معترَكُ الجيـاعِ إذا　　خَبَّ السفيرُ[2] وسابئُ الخمـرِ

ولنعم حشـوُ الدِّرع أنت إذا　　دُعِيتْ نَزالِ ولُـجَّ فى الذُّعْرِ

ومُرهَّقُ النِّيران يُحمَـد فى الـ　　لأْواء غيرُ مُلَعَّنِ القِـدْرِ

وجعـل أبو بكر رحمه الله يقول عنـد كلّ بيت : ذاك رسـول الله ، حتى أنشـده :

والسِّـتْرُ دون الفاحشات وما　　يلقـاك دونَ الخيرِ مِن سِتْرِ

أى يكون لك سترا دون الفاحشات من دون الخيرات . فقال : هكذا كان والله رسولُ الله صلى الله عليه . ثم قال : أشعر شعرائكم زهير .

باب منـه

قال محمـد[3] بن على بن الحسين بن على — صلوات الله عليهـم : إن الله جلّ وعزّ — أدّب محمدا صلّى الله عليه أحسنَ الأدب ، فقال تبارك وتعـالى : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ .

فلمّـا قبـل عن ربّه جلّ وعزّ ، وعَمِل بمـا أمره به ربُّهُ أثنى عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(١) من ثلاثة الحماسة (برن) ٤٦٨ بولاق ٣ : ٤٥ ، غ ١٥ : ١٣٣ (د) ٢ : ٣ رقم XXV

(٢) خب : سار كالخبب ، والسفير : الورق ؛ يريد فى الجدب ، ويروى « خُبَّ القُتار » .

(٣) البيان ٢ : ١٤

(١٢) وقال صلّى الله عليه[1] : " أوصانى ربّى بتسع خصال : الإخلاص فى السرّ والعلانية ، والعدل[2] فى الرّضا والغضب، والفضل فى الفَقْر والغنى ، وأن أعفوَ عمّن ظلمنى ، وأُعطِىَ من حَرَمنى ، وأصلَ من قطعنى ، وأن يكون نطقى ذكرًا ، وصمْتى فكرا ، ونَظَرى عِبرا " .

وقال أنس بن مالك : لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه المدينةَ جاءت بى أمّى إليه فقالت : يا رسول الله، هذا ٱبنى جئتُك به لِيخدمك ، فخدمتُه عَشْر سنين ما سمعتُه قال أفٍّ قطّ ، ولا قال فى شىء فعلتُه : لمَ فعلتَه ؟ ولا قال فى شىء لم أفعَلْه : لِمَ لَمْ تَفْعَلْه ؟ فلما كانت السنة الّتى توفّى فيها رسول الله صلى الله عليه جاءته أمّى ، فقالت : يارسول الله خادمك أُنَس تدعو الله له ، فقال : " اللهمّ أطِل عمره ، وكثِّر ولَده ومالَه ، وٱغفر له " . فقال أنس : قد دفنت من ولدى مائةً إلّا ٱثنين ، أو مائة وٱثنين ،وغَلّتى تأتينى فى السّنة مرتين ، و بلغ سنّه مائة سنة وسنين بعد ذلك لم يعُدَّه ،وخلّف من الولد عددا كالقبيلة الوافرة . قال أنس : وإنى لأرجو الله فى الدعوة الرابعة . ولم يسأل صلى الله عليه الله عز وجل شيئا فمنعه . ويروى أنه نظر إلى عِصابةٍ قادمةٍ من الأعراب ولم يكن عنده فى ذلك الوقت شىء يقسمه بينهم ، فتناوله بعضُهم بما كرهه ، فجاءوه فقالوا : يا رسول الله ٱقتصص منا ، فقال عليه السلام : "لا أفعل " .

(١٣) وقال صلّى الله عليه لوافد وفد عليه ، فسأله عن شىء فكَذَبه : " أسألك فتكذِبُنى ! لولا سخاءٌ فيك وَمَقَكَ اللهُ عليه لشردتُ بك من وافد القوم " .

---

(١) من الحسن فى البيان ٢ : ١٢

[(٢) كذا بالأصل ، والرواية «والقصد»] .

وقدم عليه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه بأسراء ، فأمر بقتلهم إلّا واحدا منهم ، فقال علىّ : يارسول الله ، الرب واحد ، والدين واحد ، فما بال هذا من بينهم؟ فقال : " إن جبرئيل أمرنى عن الله تبارك وتعالى بترك هذا لسخاء فيه شكره الله له " .

ولما دخل المدينة قال لبنى سَلِمة (١) : " مَن سيّدُكم؟ " قالوا : جدّ بن قيس ، على بخل فيه . فقال عليه السلام : " وأى داءٍ أَدْوَى من البخل ؟ لا يسود البخيل ، بل سيّدكُمْ الأَبيضُ الجَعْدُ عَمْرو بن الجموح " ويقال : " بشر بن البراء (٢) " . وجاء فى الحديث أن رجلا سأله عليه السلام أىُّ الأعمال أفضل؟ قال : "حسن الخلق" .

وسئلت عائشة رحمة الله عليها عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه فقالت : أو ما تقرءون القرآن : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه مع أصحابه فصنعتُ له طعاما ، وصنعتْ له حفصة طعاما ، وسبقتْنى ، فقلت لجاريتى : اذهبى فأَكْفِئِى قَصْعتها ، فلحقتْها وقد أهوت أن تضعها بين يدى رسول الله صلّى الله عليه فكفأتْها ، فانكسرتْ القصعة ، وانتشر الطعام ، فجمعها رسول الله صلّى الله عليه وما فيها من الطعام على نِطَع فأكلوا ، ثم بعثتُ قَصْعتى إلى حفصة فقلت : خذوا هذه ظرفا مكان ظرفكم فكلوا ما فيها . قالت : فما رأيت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه .

وجاءه رجل فقال : يا رسول الله أوصنى ، فقال : "عليك بتقوى الله واليأس عما فى أيديهم ، وإياك والطمَع فإنه الفقر الحاضر ، وإذا صليت فصلّ صلاة مودّع

[(١) فى الأصل « مسلمة » محرفة — وتوفى جدّ بن قيس السلمىّ فى خلافة عثمان بن عفان] .

[(٢) فى الأصل (البراءة) والصواب « البراء » ، وتوفى بشر بن البراء بن معرور السلمىّ بخيبر حين افتتاحها سنة ٧] .

(١٤) وإياك وما يُعتذر فيه"[(١)] . فقال : زدنى ، قال : "حسن الخلق وصلة الرَّحِم يزيدان فى العمر". وروى عنه أنه قال : "من أقال نادما ببيع أقال الله عَثْرَتَه ، ومن سعى فى حاجة أخيه كان الله معه" . وقال عليه السلام : "إن من الصدقة — أو قال : من المعروف — لَفَضْلَ لسانك تعبِّر به عن أخيك" . وقال عليه السلام : "لعن الله المُثَلِّث" . قيل : وما المُثَلِّث؟ قال : "الذى يسعى بجاره إلى سلطانه[(٢)] ؛ فقد أهلك نفسه وجاره وسلطانه" .

وروى محمد بن علىّ بن الحسين عليهم السلام قال : [قال] رسول الله عليه السلام : "اهتبلوا عَثَراتِ الكرام" . يقول : اغتنموا أن يعثروا فتصفحوا عنهم . وقال عليه السلام : "لا يزال المرء فى فُسحة من دينه ما لم يُصِبْ دما حراما" .

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : من أخذه اللهُ بمعصيته فى الدنيا فالله أكرمُ من أن يُعيدَها عليه فى الآخرة ، ومن عفا عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يأخذه بها فى الآخرة . فيقال إن هذا أحسن حديث رُوى فى الإسلام .

ورُوى أنه لما همّ رسول الله صلّى الله عليه بتزويج فاطمة عليّا رحمهما الله أمر بجمع المهاجرين والأنصار، ثم قال لعلىّ عليه السلام : "تكلّم خطيبا لنفسك". فقال : الحمد لله حمدا يبلغه ويرتضيه ، وصلّى الله على نبيه صلاة تُزْلِفه وتُحْظيه ، والنكاح مما أمر الله تعالى به ، واجتماعنا مما قدّره الله وأذن فيه ، وهذا محمد بن عبد الله رسول الله صلّى الله عليه زوّجنى ابنته فاطمة على خمسمائة درهم ، وقد رضيتُ ، فاسألوه واشهدوا .

---

(١) كذا ، وحفظى «وما يعتذر منه» . وانظر للعنى البيان ٢ : ٤٥ .

(٢) الأصل : « بنفسه » .

ويروى أن أبا طالب خطب[1] لتزويج رسول الله صلى الله عليه خديجة بنة خُوَيْلد رحمها الله فقال : الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم ، ومن ذرّية إسماعيل ، وجعل لنا (١٥) بيتا محجوجا وحرما آمنا ، وجعلنا الحُكّام على الناس فى محلّنا الذى نحن فيه ؛ ثم إن ابنَ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يُوزن برجل من قريش إلا رَجَح به ، ولا يقاس به شيء إلا عَظُم عنده ، وإنه وإن كان فى المال قُلّ فإن المال بعدُ رزقٌ جارٍ ، وله فى خَديجة رغبة ، ولها فيه تلك ، والصداق ماسألتموه عاجله وآجله فمن مالى ، وله والله خطرٌ[2] عظيم ، ونبأ شائع جسيم .

باب نوادر من غريب ولغة

حدّثنى المازنىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال سمعت أعرابيّا يقول : جاءت فُقيم تفايش بقبائلها[3] ، أى تفاخر[4] ، كما قال جرير :

* ولا تفخروا إن الفياش بكم مُزْرِ *

وحدّثنى الأصمعىّ قال : سيف قُساسىّ : منسوب إلى معدن ، وأنشدنى لرجل يصف مِعْوَلا :

أخضرُ من معدن ذى قُساس[5]   كأنه فى الحَيْد ذى الأضراس[6]

* يُرمَى بـه فى البلد الدَّهاس[7] *

---

(١) السهيلى ١ : ١٢٢ ، الكامل ٩٢ و ٧٠٤ ، تذكرة خواص الأمة ١٧٠ .

(٢) تحته : «خطب» . (٣) الأصل : «بقبائها» ، مصحفا . (٤) رواية (د) الثانية ٢٧٩ :

فلا تحسبن الحرب لما تشنعت   مفايشة إنّ الفياش بكم مزر

(٥) قساس : جبل فيه معدن حديد بأرمينية . والأشطار فى البلدان ، والكامل ١٠ .

[(٦) الحيد : ما أشرف من الجبل أو غيره . وذو الأضراس : يريد الموضع الضرس الخشن] .

[(٧) الدهاس : ما لان من الرمل] .

وأنشدنى أبو عثمان[(١)] :

لو عرضتْ لأيْبُلِىٍّ[(٢)] قَسِّ   أشعثَ فى هيكله مندسّ

* حنَّ إليها كحنين الطَّسّ *

جاء به على الأصل ؛ وذلك أن أصله الطَّسّ ، وإنّما التاء بدل من السين ، كما قالوا : ستّة ، وأصله سِدْسة ، وجمع السِّدْس أسداس مبنىٌّ عن أصله ، والسِّدس مبنىٌّ عن ستّة ، والطّست يجمع على طِساس ، ويصغّر على طُسَيسة .

وأنشدنى أبو عثمان المازنىّ[(٣)] :

وما البُتوت[(٤)] غير صوف بَحْت   مصبوغة ألوانها بالزُّفتِ

فضمّ الزاى ، كقولهم : الضَّعف والضُّعف ، والفَقر والفُقر .

[١٦] ويقال : قلوتُ الإبل إذا سُقتها سَوقا شديدا ، ودلوتُها إذا هوّنتَ عليها السير ، وأنشدنى عن أبى زيد[(٥)] :

لا تَقْلُوَاها وادْلُوَاها دلْوَا   إنّ مع اليوم أخاه غَدْوا

وأخبرنى الرياشىّ عن الأصمعىّ ، يقال : حَبَض السهم إذا قصَّر عن الهدف ثم سقط ، وأنشد :

* والنَّبْل تَهْوِى خَطَأً أو حَبْضا[(٦)] *

---

(١) ل (قسس) . وهذا كله عن المازنى (طسس) .

(٢) [الأيبلىّ ؛ بفتح الباء وضمها : رئيس النصارى] .   (٣) الأصل : «الحارثى» ، مصحفا .

(٤) البتوت ، جمع بت كفلس : الطيلسان . والزفت ، مضبوط فى ل ، ت بالكسر بمعنى القار ؛ ولا حاجة إلى ضم الزاى إن لم يكن ثمة رواية ؛ ولغتا الضعف والفقر ثابتتان فى ل .   (٥) ل (قلو ، دلو) ، المأثور ٥٦ ، السيرافى ٧٦ ، الألفاظ ٢٩١ .   (٦) ل (حبض) : « خطأ وحبضا » .

وقال أبو زيد : حَبِضَ السهمُ إذا خرج عن الوَتَر فوقع بين يدى الرامى ، والناقر : السهم الذى يُصيب الهدف ثم يسقط ، والعاصد : المائل عن الهدف ، والحابض : الذى يقع قدّام الرامى ، والقاصر : الذى يقصر عن الهدف ، والزالج : الذى يصيب الأرض ثم يرتفع فيصيب الهدف ، والمُعَظْعِظ (١) : الذى يمرّ ملتويا غير مستقيم ؛ وأنشدنى التّوزىّ لعنترة :

* وعَظْعَظَ ما أعدّ من السهام *

ويقال : فوّق له بسهم ، وأفوق له بسهم إذا وضعه فى الوَتَر . قال المازنىّ : قال أبو زيد : أصابه سهمُ غَرْبٍ وسهمُ غَرَب ؛ والغَرْب : الذى يأتيك من حيث لا تدرى ، فأمّا سهم غَرَب فإذا رُمى غيره فأصابه ، والغَرَب : الذى يرمى غيره فأصابه هو .

يقال : خبرت الطعام إذا خلطتَه بدَسَم ، وسَمَرتُه إذا أعريتَه من ذاك . قال رجل من الأعراب لامرأته : عليك بهذا الطعام فاخبُريه ولا تَسْمُريه . والخُبْرة : الدَسَم ، والسَمار : اللبن الرقيق ، يقول : اجعلى فيه دَسَما ولا تجعلى فيه سَمارا . والخُبرة أيضا : النصيب من الجَزور (٢) وأنشد :

إذا ماجَعلتِ العَنْزَ (٣) للقوم خُبْرةً فشأنَكِ إنّى عامد لشؤونى

اى إذا ما فرغتِ (٤) من طعام الضيف فافعلى ما شئتِ .

ويقال : الجاثى على ركبتيه ، والجاذى على ركبتيه ورجليه قائما ، وأنشد :

لقد طالمَا جَرَّبْتِنى فوجدتِنى على مركَبِ (٥) السّوء المذلة جاذيا

[(١) فى الأصل : « المنطغط » وهو تحريف . والمعظعظ من السهام : الذى يضطرب ويلتوى إذا رمى به] . (٢) أو الشاة على ما فى ل . (٣) الأصل : « العتر » . (٤) الأصل : « إذا أفرغت » . (٥) وتحت : « مركب » « مرقب » ، وهما متجهان .

(١٧) وحدّثني المازنيّ عن أبي زيد قال : تقول العرب — وقد جُرّب ذلك فوجد — : الضّبّ لا يزيد على الإجذاع، والظبي لا يزيد على الإثناء . وتقول العرب : لا آتيك سِنَّ الحِسْل جُذعانا، وسِنَّ الظبي ثُنيانا .

وقال : من كلامهم : « أحيا من ضبّ »(١) . وذكروا أنه يعيش ثلاثمائة سنة .

ويقال : الضّبّ أطول الدوابّ ذَماءً إذا ذُبح وأبقاه ، يعنون أنه لا يموت سريعا . والذَّماء : النفْس . ويقال : « أعقّ من ضَبّ »(٢)، وزعموا أنه كان يأكل أولاده .

ويقال : هذا بحر لا يغطغط، ولا يُنْكَش(٣)، ولا يُنْكَف، ولا يفتح ولا يدرَك غَورُه .

والغَرَب : كثرة الماء(٤)؛ يقال : غرِب البحر إذا تدفّق ماؤه . ويقال : غرِبت مَعِدَتُه ورَمِضَت وذرِبت إذا فسدت من امتلائها .

وكان يقال — وهو الجارى فى كلامهم — : الأسودان : التمر والماء، والأحمران : اللحم والنبيذ . وقالوا أيضا : الأحامرة : اللحم والنبيذ والزّعفران؛ وقال الأعشى(٥) :

إن الأحامرةَ الثلاثة أذهبتْ ... مالى وكنتُ بها قديما مُولَعَا
الراح واللحم السمين وأطّلِي ... بالزعفران وقد أروح مولّعا
ولقد شربتُ ثمانيا وثمانيا ... وثمانَ عشرة واثنتين وأربعا

(١) الميدانى ١ : ١٩٣، ١٤٧، ٢٠٠، العسكرى ١٠٥، ١ : ٢٦٨، الحيوان ٦ : ١٩ المستقصى، ثمار القلوب ٣٣١ .

(٢) أمثال أبي عبيد ، المستقصى . الميدانى ١ : ٤٣١، ٣٣٣ ، ٤٥١ ، العسكرى ٦٥ و١ : ١٧٢و١٥٠، ٢ : ٩٢، والثمار ٣٣٢، والحيوان ١ : ٩١و٥ : ١٠٠و٦ : ١٥ و٣٦ .

[(٣) فى الأصل : « ينكس » ، والصواب ينكش بالشين المعجمة ، أى لا ينزح ولا ينزف] .

[(٤) فى الأصل : « والغرب كثرة الماء فيها كماء المزن » . «وفيها كماء المزن» مقحمة] .

(٥) ملحق (د) رقم ١٥٥ ص ٢٤٧ ، والحواشى ص ٢١٨ ، وفيه «ولا أزال مردّعا» ؛ وتروى لغير أعشى قيس ، والأولان فى إصلاح المنطق (نسختى) بلا عزو .

والأبيضان : الشحم واللبن . وقيـل : اللبن والمـاء . والأصرمان : الذئب والغـراب . والأهْيمان : الجمـل الهائج والسـيل ؛ وهمـا الأيهمان أيضا . والأيهمُ : الرجُل الذى لا عقلَ له ولا فهم ، وهو الجمر الأسـود الذى لا أثر فيـه أيضا . والأيهم : الذى لاعَلَمَ به . والبهماء : الفلاة الملساء ، وهى القِرواح . وذهبَ منـه الأطيبان : الطعام والنكاح . ووقع فى الأهيغين ؛ أى فى الأكل والنكاح . (١٨) والأصفران : الوَرْس والزعفران . والحجران : الذهب والفضة ، وهما الحَبيبان(١) . والفَتَيان : الليل والنهار ، وهما المَلَوان ، والأجدّان ، والجديدان . والعصران : الغداة والعشىّ ، وهما القُرتان(٢) والبَرْدان والأبردان . والغاران : الفـرج والفم ، وكذلك الطَّرَفان . وقال النبى صلى الله عليـه وسلم : " إنه من حفظ طرفيه فله الجنّة " . وذهب منـه الأبيضان : شبابه وشحمه . وجاء فى الحديث : " لا صـلاة لمدافع الأخبثين " ، وهما البول والغائط .

وكان[ت] أم الهيثم من أفصح مَن رأيت ، وسمعتهـا تقول من كلامنا : « لا ترضى الشانئـة إلا بجَرْزة(٣) » . والشانئة : المُبْغِضة ، وهى التى لا تَرْضَى ممَّنْ أبغضَتْه إلا باستئصال ؛ ومنه قيل : سيف جُراز للذى يَقْطَعُ كلَّ ما يمرّ به . ورجل جَروز : إذا قعد على الزاد فأفناه ، وأنشدتنى(٤) :

كانت عجـوزا خَبّـة جَروزا تأكل فى مَقْعَـدها قفـيزا
تشـرب حُبّـا وتبـول كوزا لا تنكِحنّ بعـدها عجـوزا

---

(١) كما فى جنى الجنتين للمحبى ٣٨

(٢) وفى الجنى ٩٠ : « القرنان » .

(٣) ل (جرز) ، وجمهرة العسكرى ٢٢٠ و ٢ : ٣٧٨

(٤) الشطر الأخير ويتبعه ٤ أخرى فى الألفاظ ٦٤٩ .

ومنه الأرض الجَرُوز التي تأكل نبتها فلا تدفع منه شيئا .

وسمعتها تقول : جاء فلان يضرب أصدَريه وأزدَريه وأسدَريه ، وينفُض مِذْرَوَيْه[1] ، أى هو فارغ ، قال عنترة :

أَحولِى تَنْفُضُ آستُكَ مِذْرَوَيْها لِتَقْتُلَنِى فها أنــذا عُمَــارا

باب من الشعر

(١٩) أنشدني المازني لعبد الله بن الدُّمينة الخَثْعَمِىّ[2] :

ولما لحقنا بالحُمُول ودونها خميصُ الحَشا تُوهِى القميصَ عواتقُه[3]
قليلٌ قَذَى العينين تَعلَم أنّهُ هو الموت إن لم تُلْقَ عنّا بوائقُه
عَرَضْنا فسلَّمنا فسلَّم كارهًا علينا وتَبْرِيحٌ من الغَيْظِ خانقُه
فسايرتُه مِقْدار ميلٍ وليتنى بِكُرْهى له ما دام حَيًّا أُرافِقُه
فلما رأتْ أنْ لا وِصالَ وأنّهُ مدَى الصُّرم مَضروبٌ علينا سرادقُه
رمتنى بطرفٍ لو كَمِيًّا رمتْ به لَبُلَّ نَجيعًا نحرُه وبنائقُه
ولمعٍ بعينيها كأنّ وميضَه[4] وميضُ الحَيا تُهْدَى لِنَجْدٍ شقائِقُه[5]

---

(١) انظر سمط اللآلى ٨٣ ؛ والكامل ٥٩

(٢) مظان الشعر فى سمط اللآلى ٤١٠ ، وزد [عليها] السيوطى ٢٩٣ ، وهو له ، أو لابن الطثرية ، أو لمزاحم .

[(٣) الحمول : الظعائن ؛ وخميص الحشا ؛ وصف لقيم المرأة التى يشبب بها ، يصفه بقلة اللحم ، وذلك مما يمدح به الرجل : وتوهى القميص عواتقه ؛ يعنى أن السيف لا يفارقه ؛ فيؤثر نجاده فى عاتقه] .

(٤) وعلى الهامش : « ولمح » كالحماسة .

[(٥) الشقيقة : البرقة إذا استطارت فى عرض السحاب وتكشفت] .

وقال توبة بن الحُمَيِّر (١) فى كلمة له :

لكلّ لقـاء نلتقيـه بَشاشـة ... و إن كان حولا كلّ يوم أزورها
وكنتُ إذا ماجئتُ ليلى تبرْقعَتْ ... فقـد رابنى منها الغـداةَ سُفُورُها
وقـد رابنى منها صـدودٌ رأيتُـه ... و إعراضُها عن حاجتى و بُسُورها
ألَا إنَّ لَيْـلَى قَـدْ أجدَّ بُكورها ... وزُمّت غداة السبت للبين عيرُها (٢)
فمـا أمّ سـوداء المحاجر مُطْفِلٌ ... بأحسنَ منهـا مُقْلتَـيْنِ تُديرها (٣)
وكنت إذا ماجئت قلت لها آسلمى ... فهل ترفى قولى «آسلمى» ما يضيرها!

قوله : وكُنْتُ إذا ما جئتُ لَيْـلَى تبرقعَتْ ؛ كان النسـاء إذا أُنكِحْن أبرزن وجوهَهنّ ليُعلِمْن أن لا سبيل إليهنّ ؛ وكذلك قال :

* وقـد رابنى منها الغـداةَ سفورُها *

وقال فى هذه القصيدة :

وأُشْرِفُ بالقـور اليَفَاع لعلّنى ... أرى نار لَيْـلَى أو يرانى بصـيرُها
حمامـةَ بطن الوادِيين تَرَنَّمـى ... سقاكِ من الغُرّ العِـذاب مطيرها
أبِينى لنـا لا زال ريشُكِ ناعمـا ... ولا زلت فى خضراء دانٍ (٤) بَرِيرُها

[وقال آخر] (٥) :

تعرّضن مَرْمَى الصيد ثم رمينَنى ... من النّبل لا بالطّائشات الخوالف

(١) مظانّ الكلمة فى السمط ٢٨١ ، وهى فى (د) وسأنشره .

(٢) موضع — ح الأصل .

(٣) أفرد الضمير كـ ... بن ربيعة :

وكأن فى العينين حب قرنفل ... أو سنبلا كحلت به فانهلت

(٤) من غ ، وأصلنا : «وادى» ، ويروى : «عال» . (٥) [مابين المربعين زيادة من الأصل] ولعل هنا خرما ، والأبيات لأعرابى فى خبر فى مصارع العشاق ١٣١ ، والحماسة ٣ : ١٤٧ ، والزهرة ٨

ضعائفُ يَقْتُلْن الرِّجال بلا دمٍ ... فياعجبا للقاتلات الضعائف!
وللعين مَلْهًى فى التِّلاد ولم يَقُد ... هوى النفس شىءٌ كاقتياد الطَّرائف

وقال آخر(١):

أروحُ ولم أحدثْ لليلَى زيارةً ... لَبِئْس إذًا راعى المودّة والوصلِ
ترابٌ لأهلى لا ولا نعمةٌ لهمْ ... لَشَدَّ إذًا ما قد تعبَّدنى أهلِى

وقال الشَّمَرْدَل اليربوعىّ(٢):

وما أنصفتْ ذَلْفاءُ أمّا دُنُوُّها ... فهجْرٌ وأما نأيها فيَشُوقُ
تَباعَدُ ممّن واصلتْ وكأنّها ... لآخَرَ ممّن لا تَودُّ صديقُ

يقول: لتنفى الريبة عن نفسها.

وقال آخر(٣):

وأعرض حتى يحسب الناس أنّما ... بىَ الهجر، لا هاالله! ما بى لكِ الهجْرُ
ولكنْ أروضُ النفسَ أَنْظُرُ هَلْ لها ... إذا فقدت يوما أحبّتَها صَبْرُ

وقال آخر(٤):

فإن كان هذا منك حقًّا فإنّنى ... أُداوى الذى بينى و بينك بالهجْرِ
ومنصرِفٌ عنك آنصرافَ ابن حُرّة ... طوى وُدَّه والطىّ أبقى من النّشْرِ

---

(١) الحماسة ٣ : ١٥٣ ، والزهرة ٢٤
(٢) الحماسة ٣ : ١٥٤ بلا عزو ، كالزهرة ٤٧
(٣) لغلام من فزارة ، معانى العسكرى ١ : ٢٧٤ ، المرتضى ٢ : ٩٢ ، الحصرى ٤ : ١١٨ ، السمط ٥٠٩
(٤) الحماسة ٣ : ١٥٧ ، والزهرة ٥٦

وقال أعرابىٌّ فصيح[(١)] :

أيا رَبوةَ الرَّبْعَينِ حُيِّيتِ رَبْوةً ... على النَّأى منّـا واستهَلّ بِكِ الرعدُ
قَضيتُ الغـــوانى غيرَ أن مَوَدَّةً ... لذلفاء ما قضّيتُ آخرَها بعـــدُ
فإن تَدَعى نجـــدًا أَدَعْه ومَنْ به ... و إن تَسْكُنِى نَجْدًا فَيَاحَبَّذَا نَجْـدُ
فَرى نائباتُ الدَّهْرِ بينى و بينهـا ... وصرفُ الليـالى مِثلَما فُرِىَ البُرُدُ
إذا قيل يومُ الوعد أدنى لقائنـا[(٢)] ... فلا تَعْذُلِينى أن أقول مَتَى الوعدُ؟

ولكُثيِّر[(٣)] :

وأنتِ التى حبّبتِ شَـغْبا إلى بَدًا[(٤)] ... إلىّ وأوطانى بلادٌ ســـواهما
حللتِ بهـــذا مرّةً ثم مرّةً ... بهـذا فطاب الواديان كلاهما (٢١)

وأنشدنى الرّياشى لذى الرمّة[(٥)] :

إذا ما آمرؤ حاولْن أن يَقْتَتِلْنَه ... بلا إِحْنَةٍ بين الصدور ولا ذَحْلِ
تبسّمن عن نَوْرِ الأقاحىّ فى الثرى ... وفتّرن عن أبصار مكحولة نُجْـلِ[(٦)]
وشقّفن[(٧)] عن أجياد غِزْلانِ رَمْلةٍ ... هِجانٍ فكان القتلُ أو شِبْهُ القتلِ
و إنّا لنرضى حين نشــكو بخَـلوة ... إليهنّ حاجاتِ النفوس بلا بذل
وما الفقر أزرى عنـدهنّ بوصلنا ... ولكن جرتْ أخلاقُهنّ على البُخل

وأنشدنى الرياشىّ لذى الرّمة[(٨)] :

لعمرى لوجهُ الأرض إذ أنتمُ به ... أشدّ اغتباطا بالأنيس وأخصبُ

---

(١) وهى ٨ أبيات ، القالى ١ : ٥٥ و ٥٤ ، اللآلى ٢٠٦ . ومظانها فى السمط .
(٢) فى الأصل : « لقائيـا » .
(٣) الحماسة ٣ : ١٤١ ثلاثة ، والمعجان (بدا) ، والسيوطى ١٥٨
(٤) شغب و بدا : موضعان ؛ ذكرهما ياقوت .
(٥) (د) ٨٧ ، اللآلى ٩٠٣
[(٦) فى الأصل : « مكحلة » ، وفى السمط : « مضروجة »] .
(٧) وشقفن : لبسن الشفوف ثيابا رقاقا .
(٨) لا توجد فى (د) ، وأخاف أن يكون وهم .

من الأرض إذ فارقتموها وبُدِّلَت … بكم غير من أهوى وَلَلْماءُ أعذبُ
وفى الركب جُثمانى ونفسى رَهينةٌ … بزينب لم أذهبْ بها حيث أذهبُ

وأنشدنى مسعود بن بشر لمعروف بن زُرَيق :

ولست بناسيها عشــيّةَ فَتّلتْ … أناملَها وارفضّ منها المدامعُ
وأترابُها اللاّتى يقلن اقتلنــه … فما لنواه بعدَ ذا اليوم جامع
فقلت اقتلا قتلا رفيقا وأَجْمِلا … فِعالَ امرئ يوما به الموت واقعُ (١)
فقالتْ وبيت الله لا تَقْتُــلانِه … ولكن سَلاهُ لى متى هو راجعُ

وقال الصِّمة بن عبد الله القُشَيْرىّ (٢) :

ألا مَنْ لقلب قد أصيبتْ مَقاتلُهْ … بــه غُــلّةٌ عاديةٌ (٣) ما تُزايــلُهْ
ومعتصِبٍ بالبين لم تســتطع له … كلامًا ولم تُصرَم لبين حبائــلُهْ

وقال آخر :

لو أنّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ بهــا … ســواها وليــلى بائنٌ عنك بَيْنُهــا
لكنتَ إلى ليلى فقيرا ولو جرتْ … عليــك تناعــيمُ الحيــاة ولينُهــا ٢٣

وقال آخر (٤) :

لعلّك يومًا أنْ ترى أمَّ واهب … ويجمعُنا من نخلتين طــريق
وتنضمَّ أعنــاقُ المَطىّ وبيننــا … لُغًى من حديث دون كل رفيــق

(١) الأصل : «فعل» . (٢) الأصل : «عبيد» . (٣) عادية : قديمة — ح الأصل .

(٤) البيتان فى الحماسة البصرية لابن ميادة برواية :

ترى إن حججنا تلتق أم مالك … ويجمعنا والنخلتين طريق
وتصطك أعناق المطى وبيننا … حديث وسر لم يدعه رفيــق

وقال كُثَيِّر :

رأيتُ وعينى قرَّبتنى لِما ترى ... إليها وبعضِ العاشقين قتولُ
عيونًا جَلاها الكحلُ أمّا ضميرها ... فعفٌّ ، وأما طرفها فجهولُ

فسلك العباس بن الأحنف هذا المعنى فى شعره :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم ... فعندكم شهواتُ السمع والبصرِ
لا يضمر السوءَ إن طال الجلوسُ به ... عفُّ اللسانِ (١) ولكنْ فاسق النظرِ

وقال كُثَيِّر (٢) :

رمتنى على قرب بثينةُ بَعْدَ ما ... تولَّى شبابى وارجحنَّ شبابُها
بعينين لو أبدتهما ثم كلّمت ... سحابَ الثريّا لاستهل سحابُها

وأنشدنى التوّزىّ (٣) عن الأصمعىّ :

مَن ذا رسول ناصح فمبلّغٌ ... عنِّى عُلَيَّةَ غير قيل الكاذب
أنى غَرِضتُ إلى تناصُف وَجْهِها ... غَرَضَ المحبِّ إلى الحبيب الغائب

قال الأصمعى : سألت عيسى بنَ عمر عن التناصف فقال : هو أن تكون العينان مثل الأنف فى الحسن . قال ويقال : غَرِضْتُ إلى لقائك وجعت وعطشت ، وإنى إليك لأَصْوَرُ ، وإنى إليك لَمُلْتاح ، وإنى لأَجادُ إلى لقائك . وقال :

وإنى لأُمْضِى الهمّ عنها تجمُّلا ... وقلبى إلى أسماءَ عطشان جائعُ

(١) تحت « اللسان » « الضمير » كما فى (د) ٨٦ ، وغ ٨ : ١٧ ، والزهرة ٦٧

(٢) وعلى الهامش : « وجميل » غلطا . وانظرهما فى الزهرة ١٣٥ مع خبر طريف ، وهى ثلاثة فى البصرية لكثير .

(٣) وأبو الحسن عن ثعلب عن ابن الأعرابى فيما زاده على الكامل ٢٢ ، ونسبهما ل (نصف) إلى ابن هرمة كما فى تهذيب الإصلاح ١ : ١٢٨ ، والثانى فى الثمار ٧٠ .

وقال الأقرع بن مُعاذ :

سـلام على من لا يُمَـلُّ حديثُـه ... و إن عاشرتْه النفس عصْرًا إلى عصر
وما الشمس يوم الدَّجْن وافتْ فأشرقت ... وما البـدر وافى تِمّـه لَيْـلة البـدر

* * *

(٢٣) بأحسنَ(١) منهـا بل تزيد ملاحـةً ... بذى السَّرْح أو وادى الميـاهِ خيامُها
إذ ٱبتسمتْ فى الليـل والليلُ مظلم ... أضاء دُجَى الليـل البهيم ٱبتسامُها

باب نذكره فى الجود والكرم

يروى من غير وجه : سمعنا أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب(٢) كان يقال له عبيد الله الجواد . حدثنى على بن القاسم الهاشمىّ قال : كانت سِماتُ أربعة من ولد العباس : عبد الله(٣) الحَبْر، وعبيد الله الجواد . ومَعْبد الشهيد، وقُثَم الشبيه؛ وتأويل ذلك أن قُثَم بن العباس كان كثير المشابهة برسول الله صلى الله عليه، وكان العباس يُرَقِّصه و يقول :

أيا قُـثَمْ أيا قُـثَمْ ... أيا شبيهَ ذى الكرمْ
* شبيه ذى الأنف الأشمّ *

صلى الله عليـه . وحدّثنى المـازنى قال : قدِم قوم على معاوية بالشام فقال : مَنْ أفقهُ مَنْ خلفت بالمدينة(٤)؟ : فقال : عبد الله بن العباس . قال : فأسخاهم؟ قال :

---

(١) كذا فى الأصل المصوّر، والظاهر أن هنا خرما ، ولا أعرف الشعرين .
(٢) أخبار جوده فى العقد ١ : ١٤٨ ، (سنة ١٣٣١ هـ) .
(٣) الأصل : « عبيد الله » مصحفا .
(٤) كذا بالإفراد .

عبيد الله . قال : فأعبدهم؟ قال : معبد . ويروى أنه قيل لعبيد الله بن العباس : صف لنا أنفسكم وبنى أمية ، قال : نحن[١] أفصح وأسمح وأصبح ، وبنو أمية أمكر وأنكر وأغدر . وفى خبر آخر : نحن أمجد وأجود وأنجد .

ويروى أن مَوْلًى لبنى أمية قال لمولى لبنى هاشم : موالىّ أجودُ من مواليك ، فقال الهاشمى : بل موالىّ والله ، فهلمّ فسلْ عشرة من مواليك وأنتم السلطان ، وأسأل عشرة من موالىّ ، فتحالفا وتعاقدا على ذلك ، فانطلق الأموى فسأل عشرة من مواليه ، فأعطاه كلُّ واحد عشرة آلاف ، وانطلق الهاشمى إلى عبيد الله بن العباس فسأله فأعطاه مائة ألف ، وأتى الحسن بن علىّ فسأله فقال : سألت أحدا قبلى ؟ (٢٤) قال : نعم، عبيد الله بن العباس . فقال : لو بى بدأت لكفيتك أن تسأل غيرى . وأعطاه ثلاثين ومائة ألف . ثم أتى الحسين بن علىّ عليهما السلام . فسأله ، فقال : هل سألت أحدا قبلى ؟ قال : نعم ، أخاك الحسن فأعطانى ثلاثين ومائة ألف ، فقال الحسين : لا أتجاوز ما فعل سيّدى ، وأعطاه مثلها . قال : فانطلق الهاشمى من ثلاثة بثلثمائة ألف وستين ، وأتى الأموىّ من عشرة بعشرة آلاف ، فانصرف مغلوبا فردّها على من[٢] أعطاه فقبلها ، ورجع الهاشمى ليردّ ما أخذه على من أعطاه ، فكلهم قالوا بعد أن أبَوْه قبولها : اذهب فالقها حيث شئت .

ويُروى[٣] أن عُبيد الله بن العباس خرج يُريد معاوية ذات يوم فأصابه سماء ، ونظر إلى نُوَيْرة عن يمينه ، فقال لغلامه : ملْ بنا إليه ، فلما انتهى إذا رجلٌ شيخ ، وإذا هيئة رثّة ونَعَم مهازيل ، فقال له الشيخ : انزل فنزلْ ، ودخل الشيخ على

(١) يكرر الخبر فى آخر الكتاب فى فصل الجمال . (٢) فى الأصل : « ما » .

(٣) الخبر على طوله فى العينى ١ : ٢٤٨ مع الشمر ، وفضل العطاء على العسر ٤٣ ، ولباب الآداب ٩٩ والمستجاد .

امرأته فقال : هَبِي لى عنزك حتى أقضى بها ذِمام هـذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير، فإن يكنْ من مُضَر فهو من بنى عبد المطلب ، و إن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المُرار . قالت : وقد عرفتَ حال صبيتىَّ هاتين وأن معيشتهما منهما وهما توءمتان ، وأنا أتخوف عليهما الموت ، قال : موتُهما خير من اللؤم ، فقبض على رِجْل الشاة فاجْتَرَّها إلى المذبح ، وأخذ الشَّفرة بيمينه ثم قال :

قَرِينَتِى لا تُـوقظى ابْنَتَيـــهْ إن تُوقَظَـا تَنتحبَـا عليـــهْ

وتَـنْزِعَا الشَّـفْرَةَ من يَـديَّهْ أَبْغَضُ بِهــذا و بِــذا لديَّهْ (١)

ثم شحطها (٢) وكشَفَ (٣) عن جلدها ، وقطعها أرْباعا فقذفها فى القِدْر ، وصبّ عليها ماء (٢٥)

وحَفَن عليها من الملح ، وجعل يَحُشُّ تحتها حتى بلغت إناها ، ثم ثَرد فى جفنة فعشّاهم ، ثم غدّاهم ، فأقام عنده يومين وليلتين ، ثم أراد الرحيل فقال لغلامه : ارم إلى الشيخ بما أخرجت من النفقة ، فقال : سبحان الله ! إنما ذبح لك شاة فكافئه بمثلها خمس مرات ، وهو بعد لا يعرفك (٤) ، فقال : ويحك ! إن هذا لم يملك من الدنيا غير هذه الشاة فجاد بها ؛ وإن يكن لا يعرفنى فأنا أعرف نفسى ، ارم بها إليه ، فقال : إنها أكثر من ذلك ، قال : وإن كثرت . فرمى بها إليه — وكانت خمسمائة دينار — ثم ارتحل فأتى معاوية فقضى حاجته وأكرمه ، وأقبل راجعا إلى المدينة حتى قرُب من الشيخ ، فقال لغلامه : يا مِقْسَم ، مل بنا إليه ننظر إليه كيف حاله ، فإذا فِناءُ رجل سرِىّ ، و إذا نار ورماد ودخان عالٍ و إبل كثيرة وغنم ، ففرح بذلك ، فقال له : أتعرفنى ؟ قال : لا والله فمن أنت ؟ قال : أنا أبو منزلك ليلة كذا ، قال : و إنك لهو ! فجعل يقبّل رأسه ثم قال : جعلنى الله فداءك ! قد قلت أبياتا فاسمعها منى ، فقال :

---

(١) الأصل : «بها إن يرى» . (٢) « ذبحها » فى الأصل . (٣) كذا ، والأولى : « كشط » ؛ وهو كذلك ولله الحمد عند العينى . (٤) مثل هذا المقال فى خبر آخر ليزيد بن المهلب فى الكامل .

توسَّمتُــهُ لمَّــا رأيتُ مَهــابَةً ... عليه وقلتُ المرء من آل هاشمِ

وإلا فمِنْ آل المُـرار فإنهــم ... ملُوكُ (١) عِظام من ملوك أعاظمِ

فقمتُ إلى عـنزٍ بقيّــة أعنُزٍ ... فأذبحها (٢) فعلَ امرئٍ غير نادمِ

فعوَّضني منهــا غناى ولَمْ تكُنْ ... تُساوى قليلاً من قليلِ الدَّرَاهمِ

فقلت لِعرسى فى الخلاء وصِبْيَتِى ... أحقًّا أرَى أم تلك أحلامُ نائمِ

فقالوا جميعا : لا بل الحقّ هذه ... تَخُبّ (٣) به الركبان وَسْطَ المواسمِ

بخمس مئِينٍ من دنانيرَ عُوِّضتَ ... من العنز ما جادت به كفُّ حاتمِ

[٢٦]

فضحك عبيد الله وقال : لمَــا أعطيتَنا أكثرُ مما أخذت ، يا غلام أعطه مثلها . فبلغت فَعلته معاوية فقال : لله درّ عبيد الله ! من أىّ بيضة خرج ؟ وفى أىّ عش درج ؟ هذه لعمرِى من فَعَلاته .

ويروى من غير وجه : أن عبد الله بن جعفر — وكان من الأجواد المتقدّمين — خرج يريد الشأم ، فألجأه المطر إلى أبيات ، فإذا قُبَّةٌ حمراء بفنائها رجل ينادى : الذَّرى الذَّرَى (٤) ! فأنخنا وحَطّ عن رواحلنا ، ثم أتى بجزورٍ فنحرها ، فبِتْنا فى شِواء وقدير ، وتحدّث معنا هُنيهة من الليل ، ثم آنصرف وأتى بجَزور فنحرها ، فقلنا له : يرحمك الله ! ماتريد بهذا وقد فضل ما فيــه كفاية ؟ فقــال : كلوا رحمكم الله ! فإنا لانُطعم الضيف غابًّا . قال عبد الله : فدعوت بثــوبٍ وجعلت فيــه زَعْفَرانا وصررت فى كل طَرَف منه مائتى دينار ، ثم بعثتُ به إلى أهله فقالوا : إنا لا نقدِر على أخذِه إلا بإذنه ، وسألته أن يقبله فأبى ، فلما آرتحلنا [و] ودّعته أمرت بالثوب ،

(١) العينى : « من كرام » . (٢) الأظهر : « لأذبحها » .
(٣) العينى : « بها » . (٤) الذرى : الفناء .

فأُلقى بين البيوت، قال: فإنا لنسير إذ لحِقنا على فرس مُشيرا رمحه،[١] قد احمرّت عيناه فصاح بنا : أغنوا عنّى هذه، ونبذه إلينا وولّى وهو يقول :

وإذا أخذتَ ثوابَ ما أعطيتَـه فكفى بذاك لنائـــل تـكديرا

وهذا يُشبه ما حدَّثنى به الرِّياشىّ من أن سليمان بن عبـد الملك لـما حَجَّ ونزل الطائف هاربا من ومد مكة[٢]، قال له رجل من ثقيف: انزل علىّ، فقال: إنك لن تطيقنى، فقال : إنى لأطيقُك . فنزل عنده أياما، ثم ارتحل، فأمره بالخروج معه، فقالت له امرأته : اخرج معـه إلى مستقرّه ، فقال : أعمل معه ماذا ؟ أقول له (٣٧) أعطنى ثمن ما أكلته عندى ! لا والله لا أفعل أبدا .

ويروى أن الحسنَ والحسين عليهما السـلام لاما عبد الله بن جعفر فى إسهابه فى إعطاء المـال — وكانا من الجود مالا نهاية له[٣] — فقال : بأبى وأمى أنتما ! إن الله عزّ وجلّ عوّدنى أن يَمدّنى بماله، وعوّدته أن أفْضِل على خلقه، فأكره أن أقطع العادة فتنقطع عنى المـادّة ؛ وهذا يشبه ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال : "الخلق عِيال الله، فأحبّهم إليه أنفعهم لعياله" .

وفى عبد الله بن جعفر يقول القائل :

وما كنتَ إلا كالأَغَرِّ ابنِ جعفرٍ رأى المـال لا يَبْقَى فأبقى به حَمْدا

ويروى أن نُصَيْبا[٤] امتدحه فأعطاه خيلا وإبلا ودنانير ودراهم وثيـابا ، فقال أحد مَنْ حضر : أمِثْلُ هـذا الأسود يُعطى هذا المـال ؟ فقال : أما إنه لئن كان أسودَ إنّ شِعْرَه لأبيض، وإنّ مَدْحَه لعربىّ، ولقـد استحقّ بمـا قال أكثرَ ممـا

(١) الأصل : « قد احمرتا » .   (٢) الومد هنا : الحرّ أيا كان مع سكون الريح .
(٣) فى المستجاد للتنوخى والكامل ٨٠   (٤) غ ١ : ١٣٢، والكامل ٣٢٧

نال ، وما الذى أعطيناه ؟ إنما أعطيناه مالًا يفنى ، وثيابا تَبْـلى ، ومطايا تُنْضَى وأعطانا ثناء يبقى ، ومديحا يُروى .

وهذا يشبه ما يُروى(١) عن معاوية أنه قال لرجل من وَلَد قَيْس بن معديكَرِب : ما أعطى أبوك الأعشى حين مدحه ؟ فقال : ثيابا وإبلا وأشياء أُنسيتُها ، قال : لكنه أعطاه ما لا يُنْسى .

ويروى أن عبد الله بن الحسن قَدِم على أمير المؤمنين أبى العباس فسلَّم عليه والمال فى ذلك الوقت قليل — فلما انصرفَ بعث إليه بثلاثين ألف درهم وقال (٣٨) له : أعلمتَ أن مثلى وهب لمثلك مثلَها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قدم عبد الله ابن جعفر على يزيد بن معاوية فسلّم عليه . فلما انصرف وجّه إليه بمائة ألف درهم وقال للرسول : احفظ ما يقول ، فرجع إليه فقال [: قال] : اقرأ عليه السلام . قال يزيد : لم يرض ابن جعفر ! اذهب إليه بمثلها ، ففعل ، فقال : قل له : وَصَلَتْكَ رَحِم . قال أبو العباس : فاسق وَهَب لِمُسْرِف .

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : كان ابنُ هبيرة وهو أمير العراق يقْسم المال بين أصحابه ويقول :

لا تَبْخَلَنَّ(٢) بدنيا وهى مُقْبِلَةٌ ... فليس يَنْقُصُها التبذيرُ والسرفُ
فإنْ تولتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها ... فالشكرُ منها إذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ

ومثل ذلك قول يحيى بن خالد البرمكىّ لبنيه : يا بَنِىّ ، إذا أقبلت الدنيا عليكم فأعطوا منها فإنها لا تَفْنى ، وإذا أدبرت عنكم فأعطوا منها فإنها لا تبقى . وكان بعضهم يعطى العطايا السابغة ويفرّق التفرقة الواسعة ، وينشد :

أنتَ للمال إذا أمسكْتَهُ ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ(٣)

---

(١) الكامل ٢١٣ (٢) البيتان فى النويرى ٣ : ٢٠٦ ، وفى غرر الخصائص ٣٣١ لطاهر ابن الحسين ، والروضة ٢٣٩ بلا عزو ، وكذا العقد ١ : ١١٤ (٣) العيون ٣ : ١٨١

ونظر الأحنف إلى درهم فى يد رجل يقلّبه ، فقال : أما إنه ليس لك حتى يَخرج عن يديك .

ويروى عن يحيي بن خالد أنه كان يقول : لا يحسن بالملك أن تكون جائزته أقلّ من ألف ألف ، وجائزة وزيره أقل من خمسمائة ألف . وكان يعطى ويعتذر كما قال يزيد المهلبىّ :

(٣٩) كم صغّروا منهم والله يكافؤهم ... نعماء ما صُغّرت إلا لأنّ عَظُموا

ويروى أن المأمون قال لمحمد بن عباد المهلّبى — وكان من أجود الناس : بلغنى يا محمد أنك تَصُبّ المال صبّا ، قال : يا أمير المؤمنين ، حَبْس الموجود سوءُ الظنّ بالمعبود . وكان رسول صلى الله عليه يقول : "الله يقول : ابن آدم يقول : مالى مالى ، مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت". وقال عليه السلام : "خَصلتان ليس فوقهما من الخير شىء : الإيمان بالله عزّ وجلّ والنفع لعباده" . وقال عليه السلام : "من عَظُمتْ نعمة الله عنده عَظُمت مؤونة الناس عليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض تلك النعمة للزوال" . وقال عبد الله بن العباس : ما رأيت رجلا لى عنده معروف إلا أضاء ما بينى و بينه ، وما رأيت رجلا أسأتُ إليه إلا أظلم ما بينى و بينه . و يروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : استكثروا من شىء لا تأكله النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف . وكان ابن السّماك يقول : العجَبُ مِمّن يشترى المماليكَ بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه .

وأنشد منشد عبد الله بن جعفر[(١)] :

إن الصنيعةَ لا تكون صَنيعةً ... حتى يصابَ بها طريقُ المَصْنع

(١) الكامل ٨٠ ، ل (هيع) ، وفيه : « طريق مهيع » .

فإذا صنعت صنيعةً فاعمَـل بهـا   لله أو لذوى القـــرابة أو دع

فقال : هذان البيتان يُبَخِّلان الناس ، أمطر المعروف مطرا فإن أصاب الكرامَ كانوا له أهلا ، وإن أصاب اللئام كنتَ أهلا لمـا صنعتَ . وقال معن بن زائدة : ما أتانى رجلٌ فى حاجة فرددتُه عنها إلا رأيتُ(١) الغنى فى قفاه . ويروى أن حكيم بن حزام قال : ما أصبحت ذا صباح قطّ فرأيت ببابى طالبَ حاجة ، أو مستعينا بى على أمر قد ضاق به ذرعا إلا كان ذلكَ من النِّعم التى أحمَـد الله عليها ، وإن أصبحت ذا صباح ولم أر ذلك كان من المصائب التى أسأل الله الأجر عليها . وقيلَ لأبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : لِمَ حرّم الله الربا ؟ قال : لئلاّ يتمانع الناس المعروف . وقال جعفر لسُفيان الثورىّ : احفظ عنى ثلاثا ؛ إذا صنعتَ معروفا فعجِّلْه فإن تعجيلَه تهنئته ، وإذا فعلته وهو كبير فصغِّره فإن تصغيرك إياه أعظم له ، وإذا فعلته فاستره فإذا ظهر من غيرك كان أكبرَ لقدْره ، وأحسنَ فى الناس . (٣٠ ظ)

وحدّثنى مسعود بن بشر قال :

كان الحجّاج على عُتُوِّه وإسرافه على نفسه جوادا ، وكان إذا ضحك واستُغْرِب أتبع ذلك الاستغفار مرات . وكان يصـعد المنبر ملتفعا بمُطْرَفه فمـا يُسمع من كلامه إذا ابتدأ فى الخطبة ، ثم يتزيّد حتى يُخرج يدَه عن مُطْرفه ، ثم يصيح الصيحة يسمع بها أقصى مَنْ فى المسجد ، وكان يُطْعِم على ألف خوان جَنْبًا مشـويّا وسمكة طرية وثريدة ، وكان له ساقيان أحدهما يَسقى العسل والآخر يسقى المـاء واللبن . وكان يُطاف به فى محفّة يدور على الموائد ويقول : يا أهل الشام مَزِّقوا(٢) الخبز فإنه لا يُعَدّ عليكم ، وكان يُجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك فى كلّ يوم ، وكان

(١) أى أعطاه غيرى — ح الأصل . [(٢) فى الأصل : « مرقوا ... لايعتد »] .

يقول : أرى الناس يتخلّفون عن طعامى فى كل يوم ! فقال له بعض مَنْ حضر : (٣١) كأنّهم يكرهون الحضور قبل أن يُدْعَوْا، قال : قد جعلتُ رسولى إليهم فى كل يوم الشمسَ إذا طلعتْ، فليحضروا .

وحدّثنى المازنى قال :

بلغنى عن دهقانِ نهرتيرى[1] ، وكان الناس لا يَرَوْن نارا ولا دخانا إلا فى مطبخه لقيامه بشأنهم وتفقّده لأحوالهم ، فرأى يوما دخانا فاستنكر ذلك ، فمضى غلمانه يتحسّسون فإذا امرأة وجدت وجعا فى حلقها واتّخذت حَسْوا تحسوه ، فأخبروه بذلك ، فأمر أن يُتّخذ فى مطبخه كلّ يوم كُرٌّ[2] من دقيق حَسْوا .

قال أبو العباس قد ذكرنا من هذا الباب بعض ما استحسنّاه ونمى إلينا ، ونحن نذكر بعقبه أشعارا تُشاكل هذا الباب وتدخل فى هذا النوع . وبالله الحول والقوّة .

باب من الشعر

أنشدنى أبو عثمان المازنىّ[3] :

وإنا لمشّاءون بين رحالنا ... إلى الضَّيْف مِنّا لاحِفٌ ومُنيمُ[4]
فذو الحِلْمِ منا جاهلٌ من ورائه ... وذو الجهلِ منا عن أذاه حليمُ

وقال آخر[5] يصف ضيفا :

عَوَى فى سوادِ اللّيل بعد ٱعتسافِه[6] ... لِيَنْبَح كلبٌ أو لِيَفْزَع نُـوَّمُ

[(١) نهرتيرى : من نواحى الأهواز] . [(٢) الكر : اثنا عشر وسقا، وكل وسق ستون صاعا] . (٣) الحماسة ٤ : ٦٦ [(٤) لاحف ، أى يلبسه اللحاف ، والمنيم : الذى يحدّث الضيف حتى ينام] . (٥) إبراهيم بن هرمة ، الحماسة ٤ : ٦٦ ، الحيوان ١ : ١٩٠ ، خ ٤ : ٥٨٤ ، المرتضى ٤ : ٢٨ اللآلى . [(٦) الاعتساف : السير على غير هدى] .

بِخَاوٍ بِهِ مُسْتَنْبِحٌ الصوتِ للقِرَى ... لَهُ مع إتيانِ المُهِيبِينَ[1] مَطْعَمُ
يكادُ إذا ما أبصر الضيفَ مُقْبِلًا ... يكلّمه من حُبّه وهو أعجمُ

وقال أعرابي[2] :

وعاوٍ عوى شِبْهَ الجنون وما به ... جنونٌ ولكن كيْدُ أمرٍ يحاولُهْ
فأوقدتُ نارى فاستضاءَ بضوئها ... وأخرجت كلبى وهو فى السجن داخلُهْ
فلما رآها كبّر اللهَ وحدَه ... وبشّر قلبًا كان جمًّا بلابلُه
فلما أتاها قلت أهلا ومرحبا ... تقدَّمْ ولم أقعُدْ إليه أسائلُه
فقمت إلى البَرْكِ[3] الهجان أعودها ... بضربة حقّ لازم أنا فاعلُه
(٣٢)
فجالت قليلا واتّقتنى بخيرها ... سَناما، وأدناها من الشحم كاهلُه
فأطعمته من لحمها وسنامها ... شِواءً، وخيرُ الخير ما كان عاجلُه
طعامين لا أسطيعُ بخلا عليهما ... جنى النحل والمغصوب[4] تغلى مراجلُه

وقال آخر يصف ضيفا[5] :

ومُسْتَنْبِحٍ قال الصَّدَى مثلَ قوله ... حضأتُ[6] له نارًا لها حطبٌ جزلُ
وقمت إليه مسرعا فغنمتُه ... مخافةَ قومى أن يفوزوا به قبلُ
فأوسعَنى حمدًا وأوسعتُه قِرًى ... وأرخِصْ بحمد كان كاسِبَهُ الأكلُ

وقال أبو كدراء العجلى[7] :

يا أم كَدْرَاء مهلًا لا تلوميني ... إنى كريمٌ وإن اللومَ يؤذينى

[(١) المهيب : المنادى] . (٢) من باهلة ، الحماسة ٤ : ١١١ . [(٣) البرك : جماعة الإبل الكثيرة الباركة] . (٤) المغصوب : الذى ذبح من غير علة — ح الأصل . والبيت الثانى نسبه العينى ٤ : ٤٠٦ ضلة إلى حاتم . (٥) الحماسة ٤ : ٦٣ . [(٦) حضأت : أوقدت] . (٧) الحماسة ٤ : ١١٩ .

فإن بَخِلْتُ فإن البخلَ مشــتركٌ   وإن أَجُدْ أعطِ عَفوًا غيرَ ممنـون
ليستْ بباكية إبِلِي إذا فقــدَتْ   صوتى ولا وارثى فى الحىّ يبكينى
بَنَى البُنــاةُ لنــا مجــدا ومكْرُمةً   لا كالبنــاء من الآجُرّ والطين

وقال عتبة بن بجير[1] :

سأقدَحُ من قِدْرِى نصيبًا لجارتى   وإن كان ما فيها كَفافا[2] على أهلى
إذا أنت لم تُشْرِك صديقَك فى الّذى   يكون قليلًا لم تشارِكْهُ فى الفضل

وعلى ذلك قول الآخر[3] :

ليس جود الأقوام عن فضل مال   إنمــا الجــود للمقــلّ المواسى

وكذلك قول العتبىّ[4] :

ليس العطاء من الكثير سماحةً   حتى تجــودَ وما لديك قليــل [٣٣]

ومثل قول عتبة[5] فى شـعره ووصفه سـعة قِدره وإيثـاره جارَه على أهله قول بعض الأعراب :

وقِدرٍ إذا ما[6] أنفضَ[7] الناس أوفَضَتْ[8]   بأزفارها تومى إليهــا الأرامــل

الزِّفر : الحِمْل، يقول : إذا قل مال الناس لم يبخل بما كان يقيمه للأضياف المحتاجين إليه . وأوفضَت أى وُسِّعت ، ويقال أسرعت .

---

(١) الحماسة ٤ : ٩٣ بلا عزو، وعتبة هذا فى الحماسة ٤ : ١٢٠ .
[(٢) القدح : الغرف . والكفاف : الذى لا يفضل عنهم ، ولا ينقص من حاجتهم] .
(٣) فضل العطاء ١٥ . (٤) التبريزى ٤ : ٩٣ . (٥) الأصل : «ومثل ذلك قول عتبة» .
(٦) الأصل : « إلى ما » . (٧) افتقر — ح الأصل ؛ وعلى العجز رواية أخرى :
* إلى نارها سعيا إليها الأرامل *
[(٨) فى الأصل : « أوقصت » ؛ تصحيف ، والبيت للحطيئة . (د) ١٠٠ ، ل (وفض)] .

وحدثنى المازنى عن أبى زيد قال : وصفت امرأة من سعد امرأة فقالت : إنها لَلَيَّاءُ العُنُق ، مِمْذاق السِّقاء ، مِنْهاء القِدْر .

ليّاء العنق : كثيرة الالتفات إلى الأضياف . مِمْذاق السقاء ، يقول : إذا قلّ لبنُها مذقته بالماء ليتّسع على أضيافها ، كما قال الشاعر (١) :

يُمَــذُّهُمُ بالمــاء لا لِهوانِهــمْ ... ولكنْ إذا ماقــلَّ شيءٌ يُوَسَّــعُ

ومنهاء القــدر ، أى تعجِّل إنزالها إلى أضيافها ، ونظن أن قولهــا : منهاء القِدْر ، من نَهِئَ اللحمُ إذا كان نيئًا .

وقال خالد بن عبد الله الطائى ، ويقال لحاتم الطائى (٢) :

وعاذلةٍ قامتْ عــلىّ تلومُــنى ... كأنى إذا أعطيتُ مالى أضيمُهــا
أعاذلَ إن الجــودَ ليس بمُهلِكى ... ولا يُخلِدُ النفسَ الشحيحةَ لؤمُها
وتُذكَرُ أخلاقُ الفــتى وعظامه ... مغيّبــةٌ فى اللحــد بالٍ رميمُهــا
ومن يبتدع خِيمًا سوى خِيم نفسه ... يَدَعْهُ ويغلبْــهُ على النفس خيمُها

وأنشد أبو زيد (٣) فى قصيدة لحاتم أوّلها :

* ألا أرِقتْ عيــنى فَبِتُّ أديرُها *

وإنا نُهين المــالَ من غير ضِــنَّةٍ ... ولا يشتكينا فى السِّــنين ضريرُها (٣٤)
إذا ما بخيل الناس هرّت كلابُه (٤) ... وشق على الضيف الغريب عقورها

---

(١) أبو الحسحاس الأسدى ، ومظانه فى السمط ٨٩٢ ، الحيوان ٥ : ١٧٢ .

(٢) لا أعرفه ، ولا توجد الأبيات فى (د) حاتم ، وآخرها فى الكامل ١١ عن أم الهيثم ، واللسان (خيم) ، وفى العيون ٢ : ١ لكثير ، والأربعة لحاتم فى الحماسة ٤ : ١١٧ ، وآخرها فى الوساطة ١٥٦ للأعور الشنى ، وفى مجموعة المعانى ١٦٠ لسليمان بن المهاجر .   (٣) نوادره ١٠٦ ، و(د) حاتم من الخمسة ١١٠ .   (٤) وعلى الهامش رواية : «إذا ما البخيل الالكز» .

فإنى جبانُ الكلبِ بيتى موطَّأٌ ... جوادٌ إذا ما النفسُ شحّ ضميرُها
وإنّ كلابى قد أُقِرّت وعُوِّدتْ ... قليلٌ على مَنْ يعتريها هريرُها
وأبرز قِدرى بالفناء قليلُها ... يُرى غيرَ ممنونٍ به وكثيرُها (١)
وليس على نارى حجابٌ يُكِنُّها ... لمقتبسٍ ليلًا ولكن أُثيرها (٢)
فلا وأبيك ما يَظَلّ ابنُ جارتى ... يطوف حوالَىْ قِدْرنا ما يطورها (٣)
وما تشتكينى جارتى غير أنّنى ... إذا غاب عنها بعلُها لا أزورُها
سيبلغها خَيْرى ويرجع بعلُها ... إليها ولم تُسْدَل علىّ ستورُها

وقال حاتم أيضًا (٤) :

وإنى لأستحيى حياءً يَشفّنى ... إذا القومُ أمسَوْا مُرمِلِى الزاد جُوّعا
وإنى لأستحيى أكيلِىَ أن يَرى ... مكانَ يدى من جانب الزاد أَقْرَعا
أُكفّ يدى من أن تنال أكفَّهم ... إذا نحن أهوينا لمطعمنا معا
أبيت خميصَ البطنِ مُضْطَمِرَ الحشى (٥) ... حياءً أخاف اللومَ أن أتضلّعا
فإنك إن أعطيتَ بطنك سؤله ... وفرجَك نالا منتهى الذمّ أجمعا

وحكى أبو عبيدة وغيره — والخبر مشهور، فى ألفاظه اختلاف — : أن حاتما الطائى لما أقام فى عَنَزة بأن قد فدى أسيرا لهم بنفسه، غاب الرجال مرة وبقى هو والنساء، نيط لبعير لهم (٦). فقلن له : قم فافصد هذه الناقة، وأخذ الشفرة

(١) الأصل « بها ». و « ممنون » تحته « مضنون » كما فيهما أيضا .

(٢) الأصل « أشيرها »، مصحفا كالنوادر، وفى (د) : « أنيرها » .

[(٣) يطورها : يقربها] .

(٤) له الحماسة ٤ : ١١٨ باختلاف ؛ (د) من الخمسة ١١٤، القالى ٢ : ٣١٨، خ ٣ : ٦٣٥، السيوطى ٥٣، البيان ج ٣ .

[(٥) مضطمر : من الضمر، وهو الهزال] .

[(٦) يقال للبعير إذا ورم نحره وأرفاغه : نيطت له نوطة] .

(٣٥) فنحرها، فلطمته امرأة منهن وسبته، فقال : « لو غير ذات سوار لطمني »[١] أي لو لطمني رجل! فقلن : أمرناك بأن تفصد فنحرتها ! فقال : «هكذا فَصْدى [أَنَهْ]» .

وحدّثني المازني قال : سمعت العرب تقول : « لو غير ذات سوار لطمني » . ويقول النحويون : «لطمتني» . فأخذت «غير»[٢] قول النحويين وتركت قول العرب .

وقال مالك بن أسماء[٣] :

قالت طريفة ما تُبقِي دراهمُنا   وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خُرُقُ
إنا إذا كثرتْ يوما دراهمُنا   ظلَّتْ إلى سبل المعروف تَسْتَبِقُ
لا يألف الدرهم المنقوش صُرّتَنا   إلا لِماما قليلا ثم ينطلقُ
حتى يصير إلى نذل يخلّده   يكاد من صَرّه إيّاه يَمَّزِقُ

وقال أعرابي : ما أبالي أصَررت على حجر أم صَرَرت على دنانير إذا كنت لا أنفقها .

وحدّثني ابن عائشة عن بعض أشياخه قال : قال الأحنف بن قيس : بئس الرفيقان الدراهم والدنانير فإنهما لا ينفعانك حتى يفارقاك . وأنشدني ابن عائشة :

عوّدتُ نفسي إذا ما الضيفُ نبّهني   عَقْرَ العِشار على يُسْرِي و إعساري
وأترك الشيءَ أهواه ويعجبني   أخشى عواقبَ ما فيه من العارِ

---

(١) كذا . والمثلان والخبر معروف ، الميداني ٢ : ١٠٣ و ٨١ ؛ ١١٠ و ٢٢٩ و ١٠٢ و ١٣٦ ، العسكرى ١٧٦ و ٢ : ١٦٨ ، المستقصى ، النويرى ٣ : ٤٨ ، القالى ٣ : ١٩٠ و ١٨٧ ولفظ القالى : « أن امرأة آسره أتته والحى خلوف ببعير قد نيط وبشفرة . فقالت له افصده » الخ .

(٢) كذا الأصل ؛ والمعنى أن رواية النحاة أخذت وترك قول العرب لأجلها .

(٣) الحماسة ١ : ١٢٦ ، لجؤية بن النضر . وفى المعاهد ١ : ٧٢ لنضر بن جؤية بن النضر أو يزيد بن حاتم بن قبيصة .

وقال بعض المتقدمين[١] :

تغطّ بأثواب السخاء فإنني ... أرى كلّ عيب فالسخاء غطاؤه
وقارب إذا قاربتَ حُرًّا فإنما ... يزين ويُزرى بالفتى قُرَناؤه
وأقلل إذا ما قلتَ قولا فإنه ... إذا قلّ قولُ المرء قلّ خَطاؤه
إذا قلّ ماءُ الوجه قلّ حياؤه ... ولا خير فى وجه إذا قلّ ماؤُه
إذا قلّ مال المرء قلّ صديقه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه (٣٦)
إذا قلّ مال المرء لم يرض عقلَه ... بنوه ولم يغضب له أقرباؤه
وأصبح لا يدرى وإن كان حازما ... أقدامُه خيرٌ له أم وراؤه
إذا المرء لم يختر صديقا لنفسه ... فناد به فى الناس هذا جزاؤه

وقد أفضينا من هذا الباب إلى بعض ما قصدنا له مما يجانس الباب المتقدم، ونبتدئ بباب من معانى الشعر المستحسنة ، وبالله الحول والقوة .

باب

أنشد منشد فى صفة درع[٢] :

وكلّ ذيّالةٍ قضّاءَ[٣] تحسبها ... نِهْيًا بقاعٍ علَتْه الريحُ مشمولِ
تنفى السُّرَى وجيادُ النَّبْل تتركها ... من بين مُعْتَسِفٍ كَسْرا ومفلول

يقول : هذه الدرع سابغة الذيل، شبّهها بغدير أصابته الشمال فاطّرد ماؤه وتجعّد . والنَّهى، بالفتح : الغدير. ويقال : نِهْى بالكسر أيضا . وزعم الأصمعى أنه سمّى نِهيا لأنه ينهى الماء أن يفيض عنه، وقال جرير[٤] :

فما تَغَبُّ باتت تصفّقه الصَّبا ... بسرّاءِ نِهْيٍ أتأقتْه الروائحُ

---

(١) البيتان ٥ و ٦ بزيادة ثالث فى غرر الخصائص ٢٥٤ ، وفى الروضة ٢٠١ خمسة ليحيى بن أكثم .
(٢) ثانيهما فى ل (سرو) لابن أبى الحقيق . وفيه : «من بين منقصف» . [(٣) قضاء : خشنة المس من جدتها] .
(٤) (د) الثانية ١٠١

الثَّغْب، مفتوح ساكن: الماء الصافى، وهو الذى لو وقع فيه دُعموصٌ[(١)] لكدّره . وقوله : أتأقتــه، أى طردته كذا مرّة، وكذا مرّة، يقال : أتأقتُ الإناءَ وأترعتُه وأدهقته أى ملأته . وفى المثل «أنا تَئِق وأنت مَئِق فكيف نتفق»[(٢)] — يقول : أنا سريع الغضب ممتلئ منه، وأنت مَغيظ، فليس يقع بيننا اتفاق . وقوله : تنفى السُّرَى؛ وهو الصغار من النبل، يقال للواحدة سِروة وسُروة لضيق حَلْقها . وقوله : وجياد النبــل تتركها، أى تحطمها وتجعلها كِسَرا . معتسف، لأنه على غير قصد قال النمر بن تولب[(٣)] :

وقــد رمى بسُراه اليــومَ معتمدا في المنكبين وفى الساقين والرَّقَبَــهْ (٣٧)

وأنشد رجل من قريش :

واســتُ بزُمّيــلة نــأنــأ [خَفِيٍّ[(٤)]] إذا ركب العُــود عودا
ولكنّــنى أحمــل المؤنســاتِ إذا ما الرجال استخفّوا الحــديدا

قوله : إذا ركب العود عودا، أى إذا ركب السهام على القِسِىّ . والنأنأ : الضعيف، (مهموزمقصور). والمؤنسات من السلاح : السيف والرمح والقوس والترس . وقوله : إذا ما الرجال آستخفّوا الحديد، أى فى الحرب، يقول : إذا فزع الرجال أو خافوا خفّ ما عليهم من السلاح و إن كان ثقيلا .

وأنشدنى التوّزىّ :

ورســـم دار مُقفــــر الجنــابِ يزداد عُمــرانا من الخــرابِ

يصف دارا تزداد عمرانا من الخراب بالموتى الذين يُدفنون فيها .

[(١) الدعموص : دويبة صغيرة تكون فى مستنقع الماء] .

(٢) الميدانى ١ : ٣٩ و ٣٠ و ٤٢ لطبعاته، الكامل ٨٠ . (٣) ل (سرو) .

(٤) من ت (أنس) ، حيث البيتان، وفى ل الثانى ، وروايتهما :

ولكننى أجمع المؤنسات إذا ما استخف الرجال الحديدا

وأنشدنى المازنى :

كأن تحت البطن منه أكْلُبا بيضا صغارا ينتهِسن المَنْقَبا[١]

يصف فرسا يعدو، فإذا عدا ارتفعت قوائمه وبها تحجيل فصارت قُرْبَ بطنه، فشبّه تحجيله وتقليبه يديه ورِجليه[٢] من شدّة جَريه واقترابهما من بطنه إذا رفعهما بكلاب بيض صغار ينتهسنه، فهو ينفر منها، وهو أشدّ لجريه .

وأنشد الأصمعى قول الشاعر[٣]، ولم نر تشبيها فى بيت أحسن من هذا :

كأنّ مُثارَ النقع فينا وفيهم وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه

شبه الغبار بالليل، وشبه السيوف فى الغبار بالكواكب المنقضّة فى الليل . وأنشد[٤]:

يحملن أوعية السّلاف كأنما يحملنها بأكارع النِغْران

[٣٨] شبّه أغصان العنب وما يتشعّب منها بأكارع النِّغْران، هى عصافير . وقال آخر :

وحيّات نربيها لتُجدى علىّ قبورُها بعد الممات

يعنى دود القزّ . وقال ابن البراء الجعدى[٥] — ويقال للنابغة الجعدى :

أرارَ الله مُخَّك فى السُّلامى على مَنْ بالحنين تُعوّلينا

فلستِ وإن حَنَنْتِ أشدّ شوقا ولكنّى أسِرّ وتُعلنينا

ويروى : «أرانى الله مُخّك» والرار والرِّير : المخّ الرقيق الذائب .

وقال الأصمعى : آخر ما يبقى من المخ والسِمَن فى الدابّة فى سُلاماها وعينها، فدعا عليها بالهُزال والهلاك .

---

(١) المنقب : قدام السرة، والشطران للعانى . الحيوان ٢ : ٦١ (٢) الأصل : «رجلين» .

(٣) البيت أعرف من أن يجهله مثلهما، وهو لبشار من كلمة ؛ المعاهد ١ : ١٤٢، ابن الشجرى ٥٧

(٤) ل (نغر) «أزقاق المدام ... بأظافر»، وكما هنا عند الجرجانى ٩٦

(٥) ثلاثة فى الحماسة ٣ : ١٤٢ بلا عزو، والزهرة ٢٥٥

وقال الراجز[(١)]:

لا يشتكين عمـــلا ما أَنْقَيْن ـــــ ما دام مخ فى السُّلامَى أو عين

قال أبو زيد : السُّلامَى: الفراسن وعصبها، والنِّق : المُخّ . وقوله ما أنقين، أى ما دام مخٌ فيهنّ . وقال آخر[(٢)]:

طلب الأبـــلقَ العَقــوقَ فلمّــا ـــــ لم ينــله أراد بَيْضَ الأَنُــوقِ

هذا مَثَل، يقول: طلب مالاينال ولايكون، والأصل أن العَقوق الحامل من الخيل . والأبلق الذكَر ، والأنوق الرَّخَم، وإنما يكون فى أصعب المواضع على رءوس الجبال حيث لا يوصَل إليه . وهو مثل قول الهذلىّ عُدَيْل بن الفَرْخ العِجلى[(٣)]:

بَيْضُ الأَنوق كسرّهنّ ومن يُرِدْ ـــــ بَيْـضَ الأَنـوق فإنه بمعـاقل

والمعاقل : جمع مَعْقِل وهو الحِرْز، قال : وأنشدنى المـازنى[(٤)]:

ومستأسِـدٍ يَنْـدَى كأنّ ذبابه ـــــ أخو الخمر هاجت شـوقَه فتذكّرا

المستأسد: النبات الملتفّ الكثير. يندى، من الندى، وأخو الخمر: الذى يشربها . وهاجت، يعنى الخمر، وشوقه، يعنى الشارب . والمعنى أنه شبه صوت الذباب فى هذا (٣٩)
العُشب بصوت شارب قد سكر واشتاق إلى أهله فتغنّى . وقال آخر[(٥)]:

وصاحب معجِب فى طول صُحبته ـــــ لا ينفـع الدهرَ إلّا وهو محمـوم

تأتيك فى شـدّة الحُمّى منافعـه ـــــ وإن أفاق بدا فى وجهه اللـــوم

---

(١) أبو ميمون النضر بن سلمة العجلى، من أرجوزة فى العيون ١ : ١٥٦

(٢) الضبي ٦٢٧، الكامل ٤٠٠، الحيوان ٣ : ١٦٤، جمهرة اللغة ١ : ٣٢٠، الميدانى ١ : ٣٧٨ و ٢٥٢ و ٣٩٥، القالى ١ : ١٢٨، الثمار ٣٩١

(٣) كذا ! وما للعديل وهذيل ! والبيت من لامية له فى غ ٢٠ : ٢٤، وفيه : «فوكره بمعاقل» .

(٤) وجدته ولله الحمد فى نسخة شعر زهير رواية السكرى أو ثعلب، وهو البيت ٥ من ٨ أبيات الرقم ٢٠، وهى برواية حماد .

(٥) بشار، مجموعة المعانى ١٤٧، الشريشى ٢ : ٢٤٤ شرح بشار ٢٠١

يعنى الفرج، ويكون للفرجين جميعا . قال وأنشدنى التوزىّ :

رواحلنا ستّ ونحن ثلاثة　　　نُجَنِّبهنّ الماءَ فى كلّ منهل

يعنى النعال . وقال الكميت(١) :

ولما رأيت النسر عزّ ابنَ دأيةٍ　　　وعشّش فى وَكْرَيه جاشتْ له نفسى

يقال للغراب ابن دأية، لأنه يقع على الدأية من ظهر البعير الدَّبِر فينقرها . وإنما يعنى الشيب وغلبته على السواد . وعزّنى فى الخطاب، أى كان أعزّ منّى فى المخاطبة، قالت الخنساء(٢) :

كأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى　　　إذ الناسُ إذ ذاك مَنْ عَزَّ بَزّا

أى من غلب سلب . وقوله : وعشّش فى وكريه، يعنى بوكريه عارضيه ولحييه، فوجلت نفسه لذلك . وأنشد الأصمعى :

فلن اتّضعتِ فقالت لا، فقلن لها　　　فكيف تَقْوَيْن ياسلمى على الجمَلِ

زعموا أن المؤدَّب من الإبل يقال له «ضع ضع» فيطأطئ(٣) رأسه ليُركَب . يقول: وأنتِ لو لم يفعلن هذا ما قدرت على ركوبه . واتضعت، افتعلت من الوضع . ومثله قول جميل :

فلمّا دنتْ أُولَى الرِّكاب تيمّمت　　　إلى جؤجؤ جَلْسٍ فقالت له ضع

يقول قصدتْ إلى نجيب قوىّ شديد فقالت له ذلك، وأنشد :

قد قلت للصبّاح والمُهاجِر(٤)　　　إنّا وربِّ القُلُص الضوامر ﴿٤٠﴾

---

(١) من أبيات المعانى، كنايات الثعالبى (١٣٢٦هـ) ص ٧، الجرجانى ٩٢ وبرواية : «جاش له صدرى» وكما هنا فى ل (دأى)، وخ ٣ : ١١٥، والثمار ٢١٢　　(٢) الكامل ٤٧٢ و ٧٤٥　　[(٣) فى الأصل : «فيطأ»] .　　[(٤) الرواية فى تاج العروس : «والهواجر» قال : «الصباح : التى يقال لها ارتحلى فقد أصبحنا، والهواجر : التى يقال لها سيرى فقد اشتدت الهاجرة»] .

إنا : أى أعيينا، والأين : الإعياء، تقول آن يئين أينا إذا أعيا، وأنشد[1] :

لنعـم البيتُ بيتُ أبى دثارٍ ... إذا ما خاف بعضُ القوم بعضا[2]

يقول : إذا خاف بعض القوم بعَضّ البعوض فبيت أبى دِثار لا يُخاف عليه ذلك فيه . و بيت أبى دِثار : الكلّة . وأنشد :

يريع[3] إليـه العم[4] حاجةَ واحـد ... فآبُوا بحاجات وليس بذى مال

يريع : يجتمع . إليـه ، يعنى الكعبة ، يريد أن النـاس كلّهـم يسألون عند ذلك الموضع المغفـرةَ ، فرجعوا وهم يرجون حسن الإجابة ، وليس معهم مالٌ حَوَوْه . وقال آخر[5] :

ما لك لا ترمى وأنت أَنْـزَعُ ... وهى ثـلاثُ أذرُعٍ وإصْـبَعُ
وهى إذا أنبضتَ فيها تسجعُ ... تَرَنُّمَ الثَّـكْلَى أَبَتْ لا تهجـعُ

قوله : أنزع، يريد أنزع من غيرك ، و بعضهم يقول : أنزع . يقول : قد كبرتَ وصارت بك نزعة ، قال : وأجود ما تكون القسىّ ثلاث أذرع ونصف وثلاث أذرع . وإنما أخبر عن جُبنه فقـال : مالك لا ترمى وأنت أنزَعُ فى القوس من غيرك ، وقوسك هذا حالها فى الجودة والتمام ؟ . وأنبضتَ : جذبت . وتسجَع : ترنم . و يقال : خير القسىّ ما إذا جُذِبت ترنمت ، وأنشد :

تسـجع بعـد النزع والتوكير[6] ... فى سِيَتَيْها رنّـةَ الطُّنْبـور

(١) لأبى دثار الكلبي ، كنايات الجرجانى ٨٧ [(٢) بعض هنا : مصدر بعضه البعوض أى عضه وآذاه ، ولا يقال لغير البعوض] . (٣) فى ل (عمم) « يريغ » بالغين ، و « أبنا بحاجات » . [(٤) العم فى البيت ، بمعنى الخلق الكثير ، وأراد الشاعر الحجر الأسود فى ركن البيت ، كما فى ل] . (٥) الاقتضاب ٤٣٢ ، شرح الجواليق ٣٥٣

[(٦) كذا بالأصل ، ولعله « التوتير » مصدر وتّر القوس إذا شدّ وترها ، والوترة : مجرى السهم من القوس ، وعنها يزل السهم إذا أراد الرامى أن يرمى ، وسية القوس : ما عطف من طرفيها ، ووكره : ملأه] .

قد أتينا من هذا الباب ببعض ماقصدنا له ، وفسرنا ما أتينـا به تفسيرا يغـنى عن تشكل فيه أو مسألة عنه ، ونرجع إلى باب أخبار وأشعار يشا كل بعضها بعضا . وبالله الحول والقوة .

باب

حدّثنى مسعود بن بشر قال : قدم عمرو بن العاص مكة وفتيان قريش يتحدّثون ، فلما رأوه رَموه بأبصارهم[١]، فعدل إليهم فقال : كأنكم كنتم فى حديثنا ، فقالوا : نعم كنا نفضّل بينك وبين أخيك ، فقال : إن له علىّ لأربعا ، أمُّه آبنة هشام بن المغيرة وأمّى مَنْ قد علمتم ، وكان أحبَّ إلى أبى منّى وقد عرفتم رأى الأب فى ابنه ، وأسلم قبلى وآستُشهِد وبقيت . وكان هشام بن المغيرة شريفا مسوّدا[٢] ، وكان الناس يؤرّخون بالأمـور العظام تحدُث ، مثل عام الفيـل ، وعام الرمادة ، وموت هشام بن المغيرة وفيه يقول القائل[٣] : (٤١)

فأصبح بطنُ مكّة مُقشَعِرّا　　　كأنّ الأرضَ ليس بها هشام

وحدّثنى مسعود بن بشر قال : كان عمرو بن العاص جيّد الفطنة كثير الدهاء سريع الجواب بليغَ الكلام . ويروى أنه جُعِل[٤] لرجل ألفُ درهم على أن يسأل عمْرا عن أمّه — وكان يُطْعن عليها — فأتاه وهو يومئذ أميرُ مصر ، فقال : أصلح الله الأمير! أردت أن أعرف أمّ الأمير ، فقال : نعمْ ، امرأة من عَنَزة ثم من بنى العنبر ثم من جِلّان ، اسمها ليلى وتعرف بالنّابغة . اذهب فخذ جُعْلك .

(١) الأصل : «رموهم» . وهذا الخبر فى المعارف (١٣٠٠هـ) ٩٦ . أم عمرو النابغة من عنزة ، وأخوه هشام أمه أم حرملة بنت هشام ، واستشهد فى بعض أيام اليرموك .

(٢) انظر ممادحه فى ابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٢ — ٣٠٠ ، وثمار القلوب ٢٣٨

(٣) عبدالله بن ثور الخفاجى ، أو الحارث بن أمية كما قال ابن أبى الحديد : وفى الاشتقاق ٦٣ إنه لبجير بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير . وبلا عزو فى الغفران ١٩١ ، والكامل ٣١٣ ول (قتم) .

(٤) النويرى ٦ : ٥٢

وحدثنى مسعود بن بشر فى إسناد متّصل قال : قال المنذرُ بنُ الجارود لعمرو : يا أبا عبد الله ، إنك أفضل الناس لولا أنّ أُمّك أُمُّك ، فقال : قد خَطَر هذا ببالى البارحة والله ، فأقبلتُ أقلّبها على أحياء العـرب ممن كنتُ أحبّ أن تكونَ فيهـم فلم يخطُر لى عبدُ القيس ببال — يعنى منذرا .

وممـا يستحسن من سُرْعة الجواب وحضوره عند وقته ما يُروى أن خالدَ بن صفوان لقى الفرزدق — وكان دميما — وقد لبس ثيابا سرّيّة ، فقال له : يا أبا فِراس مرحبـا بهذا الوجه الذى لو رآه صـواحبُ يوسف لم يُكْبِرنه ولم يقطّعن أيديهنّ فقال الفرزدق : وأهلا ومرحبا بوجهك الذى لو رأته صاحبةُ موسى لم تقل لأبيها : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ . (٤٣)

وحدِّثتُ[1] أن شريكا النُّميرىّ سايَرَ عمـر بن هُبيرة وهو على بغلة ، فجاوزتْ بغلتُه بِرْذَوْنَ عمـر ، فقال له : أُغْضُضْ من لجامها ، فقال : إنهـا مَكْتوبة ، فقال : ما أردتُ ذلك ، قال : ولا أنا أيضـا أردتُه . ظنّ شريك أن عُمر عَنَى بقوله : « اغضض من لجامها » قول جرير[2] :

فغُضَّ الطـرفَ إنك من نُمَـيْر فـلا كعْبًا بلغت ولا كلابا

وعنى شريك بقوله : «مكتوبة» قولَه[3] :

لا تأمننّ فَزاريّا خلوتَ بــه على قلوصـك واكْتُبها بأسْـيَار

---

(١) الخبر فى الاقتضاب ٥٠ ، وخ ١ : ١٦٨ ، وكنايات الجرجانى ٧٤ ، والحصرى ١ : ٢١ والسمط ٨٦١

(٢) النقائض ٤٤٦ ، (د) الأولى ١ : ٣١

(٣) سالم بن دارة ، السهيلى ٢ : ٢٨٨ ، خ ١ : ٥٥٧ ، التبريزى ١ : ٢٠٥ ، ل « مدر » .

أى اشْدُدها . ويروى أن ابن مُلْجم قال لعلىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه : إنى اشتريت سيفى هذا بألف، وسممته بألف، وسألت الله أن يُقتل به شرُّ خلقه فقال : قد أجاب الله دعوتك، يا حسن، إذا متُّ فاقتله بسيفه .

ويروى[(١)] أن عبدَ الملك بنَ مروانَ كتبَ إلى الحجّاج بن يوسف « بسم الله الرحمن الرحيم — أمّا بعدُ — فإنّك سالمٌ والسلام » فأشكل على الحجّاج وأَرِق لذلك ليلته، فقال له ابنُ هُبيرةَ[(٢)] : ما يُسْهِرُ الأمير؟ فقال : كتابٌ كتبه إلىّ أميرالمؤمنين فيه [٤٣] كذا، قال : فإن أعلمتُك معناه فمالى عندك ؟ قال : ولايةُ خراسان، فقرأ عليه الكتاب، فقال عمر : أخذه من قول القائل[(٣)] :

يُديرُوننى عن سالمٍ وأُديرهم   وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

فولّاه خراسان .

ويروى أن [أبا] دُلامةَ الشاعرَ دخل على المنصور أو المهدىّ وعليه جبّةٌ فاخرةٌ فقال ما هذه الجُبّة يا [أبا] دلامةَ ؟ فقال : هذه[(٤)] لا ألبَسُها إلا فى كلّ موتِ خليفةٍ، قال : فأَرانى ميّتا ولا أدرى .

ويروى أن الحسينَ بنَ علىّ صلوات الله عليهما دخل على معاويةَ وهو فى علّةٍ غليظةٍ فقال معاويةُ : ساندونى، ثم تمثّل ببيت أبى ذُؤَيب[(٥)] :

وتجلُّدى للشامتين أُريهمُ   أَنّى لريبِ الدّهرِ لا أتضعضعُ

فسلّم الحسين[(٦)] وتمثل ببيت أبى ذؤيب :

وإذا المنيّةُ أَنْشَبَتْ أظفارها   أَلْفَيْتَ كُلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

---

(١) القالى ١ : ١٦ و ١٥ [(٢) كذا فى الأصل، والذى فى الأمالى (١ : ١٥) أن الخبر مع قتيبة بن مسلم الباهلىّ، وهو الصواب] . (٣) أبى الأسود، أو دارة أبى سالم، أو زهير، أو عبد الله بن عمر. وانظر السمطة ٦٦ (٤) الأصل : « هذا » . (٥) (د)، والمفضليات والجمهرة . (٦) الأصل هنا : « الحسن » والخبر فى المعاهد ١ : ١٩٢ لعبد الله بن عباس مع معاوية .

وكان معاويةُ مع حدّة جوابه وصواب رأيه حليمًا جوادًا، وكان يُضيفُ إلى ذلك شجاعة وحزما. ويروى أنّ عبدَ الرحمن بنَ خالد بن الوليد قال له : إنّى لَأراكَ تُقْدِمُ أحيانا حتى أقولَ أشجعُ الناس، وأراكَ تُحجِم أحيانًا حتى أقول أجبنُ الناس، قال : إنى أُقْدِم ما كان الإقدامُ غُنْما، وأُحجِم ما كان الإحجام حزما، فأنا كما قال القائل (١) :

شجـاعٌ إذا ما أمكنتنىَ فرصةٌ　　　وإن لم تكن لى فرصةٌ فجبان

وكان المهلّب يقول : الإقدام على الهَلَكَة تضييع، كما أن الإحجام عن الفرصة جُبْن. ويروى أن جرّة (٢) هوت على رأس يزيدَ ابنه فلم يتوقّها، فقال له المهلّب : حفظتَ الشجاعةَ من حيث ضيّعتَ الحزم. ويروى عن أحد الحكماء قال : يجب على الرجل أن يكون سخيا ولا يبلغ التبذير، وأن يكون حافظا ولا يبلغ البخل، وأن يكونْ (٣) شجاعا ولا يبلغ التضييعَ، وأن يكون محترسا ولا يبلغ الجُبن، وأن يكون ماضيا ولا يبلغ القِحَة، وأن يكون قوّالا ولا يبلغ الهَذَر، وأن يكون صموتا ولا يبلغ العِىّ، وأن يكون حليما ولا يبلغ الذل، وأن يكون منتصرا ولا يبلغ الظلم، وأن يكون أنفا ولا يبلغ الزّهو، وأن يكون حَيِيًّا ولا يبلغ العجز. (٤٤)

وحدّثنى مسعودُ بن بشر فى إسناد ذكره قال : لما قال حَسّان (٤) بن ثابت فى كلمة له يُعيّر بها الحارثَ بنَ هشام بن المغيرة — حيث فرّ يوم بدر عن أخيه أبى جهل ابن هشام :

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثتنى　　　فنجوتِ مَنْجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّةَ لم يقاتل دونهم　　　ونجا برأس طِمرّةٍ (٥) ولجام

(١) الكنانى، العيون ١ : ١٦٣، لباب الآداب ١٩٣. [(٢) كذا بالأصل، وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن المهلب : وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه].
(٣) الأصل : «كان». (٤) الكلمة فى (د)، السيرة ٥٢٢، السهيلى ٢ : ١١٠
[(٥) الطمرّة : الفرس الجواد، ويستعار للأتان].

وقال الحارث يعتذر من فزارة[(١)] :

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علَوا فرسى بأشقرَ مُزْبِدِ[(٢)]

وعلمتُ أنى إن أُقاتلْ واحدا ... أُقتَلْ ولا يَضْرُرْ عدوّىَ مشهدى

فصددت عنهمْ والأحبّةُ فيهمِ ... طمعا لهم بعقاب يوم مُفسِدِ

وقال سعيدُ بنُ المسيّب لرجل من قريش : من جاءكم بخبر الجمل ؟ قال : عبدُ الرحمن بنُ الحارث بنِ هشام ، فقال سعيد : كان أبوه أوّلَ من جاء بخبر بدر . وفرّ الحارث يوم بدر ، وفرّ هشام أبوه يوم الفِجار ، وفرّ عبد الرحمن يوم الجمل .

(٤٥) وأنشدنى التوّزىّ لأبى ثور عمرو بنِ معديكرب[(٣)] :

ولقد أرفع رجلىّ[(٤)] بها ... حَذَرَ الموت وإنى لفرورُ

ولقد أعطفها كارهةً ... حين للنفس من الموت هرير

كلُّ ما ذلك منّى خُلُقٌ ... وبكلٍّ أنا فى الرَّوع جدير

ومثله قول زيدِ[(٥)] بن المهلهل :

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا ... وأنجو إذا لم ينجُ إلا المكيَّس

ولست بذى كُهْرورة[(٦)] غيرَ أننى ... إذا طلعتْ أُولَى المُغيرةِ أعبِس

(١) السيرة ، والحماسة ١ : ٩٧ ، والاشتقاق ٩٣ ، وغرر الخصائص ٣٠٠ ، والمعارف ٩

(٢) [عنى بالأشقر المزبد الدم ، وزبده البياض الذى يعلوه] .

(٣) حماستا الطائيين ١ : ٩٣ و ٦٧ ، الشعراء ٢٢١ ، القالى ٣ : ١٤٨ و ١٤٧

(٤) [رواية الحماسة والشعراء : « ولقد أجمع » ، ويقال : جمع رجليه إذا طلب عدو دابته] .

(٥) الأصل : « يزيد » مصحفا ، وهو زيد الخيل الطائى ، والأبيات فى النوادر ٧٩ ، التبريزى ١ : ٩٤ ، سيبويه ٢ : ٢٥٠ ، اللآلى ٣٤٥ ، ل « كهر » .

(٦) كهرورة : عبوسة .

ومنه قول أبى[1] كعب الأنصارى :

ألا لا تقل عرسى على حين ساعة ... ألا فر عنى مالكُ بن أبى كعب
أقاتل حتى لا أرى لى مُقاتلا ... وأنجو إذا غُم الجبان من الكرب

وقال آخر :

وماذا على مروان لو كنتُ خلفه ... رديفا على أَقتاد أصهب بازل[2]
ورفّعت من رجلىّ ألتمس الذى ... وجدتُ على عهد القرون الأوائل

هذا رجل فرّ من حرب، فطلب إلى مروان هذا أن يُرْدفه فأبى عليه، فعدا على رجليه حتى أفات . وإنما أراد قول وَعْلة الجَرْمىّ[3] حين نجا يوم الكُلاب على رجليه :

فِدًى لكما رِجْلَىّ أُمى وخالتى ... غداةَ الكُلاب إذْ تُحَزّ الدوابر

يقول : إنما فعلت ما كان يفعل من كان قبلى من القرون الأوائل .

ويروى أن رجلا من أهل الشام انهزم من حرب، فلقيه لاقٍ فقال : ما الخبر ؟ قال : مَن صبر أخزاه الله، ومن انهزم نجاه الله .

باب

من الأخبار المستحسنة التى لا تدخل فى جملة ما نُقل منها ولا تشا كل ما ذكرناه قبلها .

(٤٦) حدثنى العُتْبىّ فى إسناد عن أبى خالد مولى عمرو[4] بن عتبة قال قال محمد بن عمرو ابن عُتبة : جاءت هذه الدولة — يعنى دولة ولد العبّاس — وأنا حديث السنّ متفرقُ الأموال خائف العيال، وكنت لا أنزل سِكّة من سكك البصرة إلا شُهِر مكانى، فرأيت أن

(١) أبى كعب بن مالك الصحابى، أى مالك . وثانيهما فى التبريزى ١ : ٩٤، وكلمته هذه فى غ ١٥ : ٣١ و ١ : ٢٠، قال : « ويروى أن هذا الشعر لمالك بن أبى كعب المرادى » .

[(٢) أقتاد : جمع قتد، وهو خشب الرحل . والأصهب : بعير ليس بشديد البياض] .

(٣) مطلع كلمة مفضلية رقم ٣٢ ص ٣٢٧، العقد ٣ : ٣٥٨، غ ١٥ : ٧٣ و ١٩ : ١٤٠، خ ١ : ١٩٩

(٤) إن كان عمرو بن عتبة بن أبى سفيان فهو المذكور فى المعارف، ١٣٠٠ هـ، ص ١١٨، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتل .

أَقِيَ عيالى بنفسى ، قال أبو خالد : قال لى : موعدك غدا بابُ الأمير سليمان بن على ، فبكرت فإذا به قد أقبل وعليه سراويل وَشْيٍ ، قد أسدلها على قدميه ، وطيلسانٌ مُطْبَق ، فقلت فى نفسى إنا لله ! ما تصنع الحداثة بأهلها ، فلما دنا قلتُ : إن هذا اللباس ليس من لباس هذا اليوم ، قال : صدقتَ والله ولكن ليس عندى إلا ما هو أشهر منه ، فلففتُ سراويله حتى بلغت بها ركبتيه ، وأخذت طيلسانه إلىّ وأعطيتُه طيلسانى ، ثم قلت : أُدخل الآن ، فدخل ، فلبثَ شيئا ثم خرج إلىّ ضاحكا ، فقلت : ما كان بينك وبين الأمير ؟ قال : مَثَلْتُ بين يديه ولم يكن رآنى قبلها فقلت : أصلح الله الأمير ! ساقنى البلاء إليك ، ودلّنى فضلُك عليك ، فإما قبلتنى غانما ، وإما رددتنى سالما . فقال : مَنْ أنت أعرفْك ؟ فانتسبت له ، فقال لى : اقعد يا بن أخى فتكلم غانما سالما . فجلستُ فقلت : أيها الأمير إن هؤلاء الحُرَم اللواتى هنّ حُرَمكم بعدنا وأنتم فيهنّ شركاؤنا ، وقد خِفن لخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . فقال : ما أجابنى إلا بِعَبْرته . فقال : بل يحقنُ الله دمك ، ويصون حُرَمك ، ويجمع لك مالك ، ولو أمكننى مثلُ ذلك فى جميع أهلك لفعلت ، فكن مستترا كظاهر ، واكتب إلىّ فى حاجاتك . (٤٧)

فقال : كان والله يكتب إلىّ كما يكتب الرجل إلى أبيه أو عمه . قال : فلما قضى حديثه رددت إليه طَيْلسانه ، فقال : مه ! فإن ثيابنا إذا فارقتنا لا ترجع إلينا .

ويروى أن مروان الجعدىّ كتب إلى عبدالله بن علىّ : إنى أظنّ هذا الأمر صائر إليكم ، فإن كان ذلك فاعلم أن حُرَمنا حُرَمكم والسلام . فكتب إليه عبدالله : إن الحق لنا فى دمك ، والحق علينا فى حُرَمك .

وحدّثنى على بن القاسم الهاشمى قال بينا[1] الخيزران قاعدة ذات يوم قيل لها إن ببابك امرأةً حسناء ، وعليها ثياب بَذّة تطلب الإذنَ عليك ، وقد سُئِلتْ عن اسمها

---

(١) الحكاية بأطول مما هنا فى ثمرات الأوراق (١٣٠٠ هـ) ٩٥ ، والمستجاد .

فأبت أن تخبر به، فقالت لزينب بنت سليمان بن علىّ: ما ترين؟ فقالت: تدخلُ فإنه لا بدّ من فائدة أو ثواب. فأذنتْ لها، فدخلتْ، فقالت: أنا مارية امرأة مروان ابن محمد الأموى، فقالت زينب: أأنت مارية؟ فلا حياك الله! والحمد لله الذى أدال منك، أما تذكرين يا عدوّة الله حيث أتاكِ عجائز قومى وأهل بيتى يسألونك مسألة صاحبِـك فى دم إبراهيم الإمام فوثبتِ عليهنّ وأسمعتِ ما أسمعتِ، وأمرتِ بإخراجهنّ! قال: فضحكت ماريةُ، فلا يُنْسَى حسنُ ثغرها وعلوُّ صـوتها بالقهقهة. ثم قالت أيا بنـة عمٍّ، أى شىء أعجبـكِ من صُنع الله بى على العقوق حتى أردت أن تتأسّىْ بى! فهبينى أنى فعلتُ بنساءِ قومِكِ ما فعلتُ ثم ساقنى الله خاضـعةً ذليلةً عُريانةً، فكان هذا مقدارَ شكرِك لله على ما أولاكِ فىّ. ثم ولّت وقالت: السلامُ عليكنّ، فقـالت الخيزران: ليس هذا لكِ عافاكِ الله! علىّ استأذنتِ، وإيّاى قصدتِ فارجعى! فقالت: نعم، وإن مما يَرُدّنى الجوعَ والضُّرّ. فدعتِ الخيزرانُ بالخِلَع لهـا ثم قالت: افرشوا لها المقصورة الفُلانيـة، وقالت: والله لا يفـرّقُ بيننا إلا الموتُ. فما فرّق بينهما إلّا الموت.

(٤٨)

ونُمِىَ إلىّ من ناحيـة زبير قال: اعترض رجلٌ من بنى أميـة يحيى بن خالد البرمكى، فقال: ما حاجتُك؟ قال: حَاجتى أن توصلنى إلى أمير المؤمنين الرشيد — وعرّفَه نفسه — فقال له: إن أمير المؤمنين يكره أهل هذا البيت، فإن كانت لك حاجةٌ كنتُ لك فيما تريده دون أمير المؤمنين، قال: ما بى حاجةٌ إلى غيره، وهـذه حاجتى إليك.

فدخل إليـه يحيى فصادفه طَيّب النفس، فقـال: يا أمير المؤمنـين إن لى حاجة، فقال له: قُل يا أبا على، فأخبره بقصة الأموىّ. فقال: ما أكره ذلك، فأتى به فسلّم عليه ودعا فأحسَنَ، ثم أنشأ يقول:

يا أمـــينَ الله إنّى قا ئـــلٌ ... قول ذى رأيٍ ودينٍ وحَسَبْ
لكمُ الفضـــلُ علينـا وانـا ... بكمُ الفضل على كلّ العَـرَبْ
مَنْ يقـل غيرَ مقالى فلقـــد ... ضلّ فى الحكم ضلالا وكَذَبْ
عبـدُ شمس كان يتلو هاشمـا ... وهمـا بعـــدُ لأمٍّ ولأبْ
فصِـلِ الأرحام منـا إنمـا ... عبـدُ شمسٍ عمُّ عبـد المطّلب
فالقرابات شـــديد عَقـدُها ... عَقْدُها أوثق من عَقد الكَرَبْ

(٤٩) قال الرشـيد : إى والله ! وأمر له بجائزة، فقبضها وخرج . قال يحيى : فخرجتُ خَلْفَه لأُعْطيَه أنا أيضا فلم ألحقه .

ويروى أنّ حفصا الأمويّ — وكان هجّاءً لبنى هاشم مُطْنبا فى ذكر مثالبهم — لم يشعر به عبد الله بن علىّ بن العباس(١) إلا هو واقف على رأسه وهو لا يعرفه، فقال له : مَن الرجل ؟ قال : حفص الأمويّ ، قال : أأنت الذى لم تزل مطنبا فى هجاء بنى هاشم وثلبهم؟ فقال : ليس كل ما بلغك أيها الأمير حقا، ولكنى الذى أقول :

وكانت أميّـةُ فى مُلكها ... تجـور وتُكثر عُدْوانَهـا
فلما رأى اللهُ أن قد طغَت ... ولم يُطق الناس طُغْيانَهـا
رماها بسفّاح آل الرسـول ... فجـذَّ بكفّيـه أعيانهـا

فقال له : اجلس، فجلس، ثم دعا عبد الله بالطعام فتغدّى معه، ثم نظر إلى عبد الله وهو يُسارّ خادما له، فخاف على نفسه، فقال: أيها الأمير، إنى قد تحرمتُ بطعامك

(١) كذا، والصواب : إما عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وهو أبو العباس السفاح ، أو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس عم السفاح، وكان ولى الشام له، ثم خالف فبعث إليه المنصور أبا مسلم ، فأخذه وحبسه ببغداد حيث مات . كما فى المعارف ١٢٨ .

فقال : ليس الأمر كما تَظُنّ ، فجاءه الخادم بخمسمائة دينار ، فصبّها فى كمّه وقال له : أُخرج آمنا . ومَنْ بالباب يتوقعون أن يخرج رأسه ، فسألوه عن حاله فقال : وهب لى الأمير ألفَ دينار : خمسمائة دينار دينى وخمسمائة فى كُمّى .

وهذه رسالة نذكرها ، فإنا استحسنّا ألفاظها ، واستغربنا معانيها ، ووقفنا على إبلاغ عظاتها ، وهى رسالة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من الحبس إلى أبى مسلم(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسير فى يديه ، بغير ذنب إليه ، ولا خلاف عليه . أما بعد ، فإنك مستودَع ودائعَ ، ومولى صنائع ، فاذكر القصاص ، واطلب الخلاص ، وأنبِهْ للفكر قلبك ، واتق الله ربك ، وآثر ما يلقاك غدا على ما لا يلقاك أبدا ، فإنك لاقٍ ما سلّفت ، غيرُ لاقٍ ما خلّفت ، وفقك الله لما يُنجيك ، وآتاك شكر ما يوليك .

فخلّى سبيل إخوته . ومات عبد الله فى السجن ، فعاقب الله أبا مسلم ببغيه وأسلمه بغدره ، وأتاح له مَنْ قتله .

ويروى أن المنصور بعد قتله أبا مسلم خطب فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

أيّها الناسُ ، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تُسِرُّوا غش الأئمّة ، فإنه مَنْ غشّ إمامه أظهر الله سريرته فى فلتات لسانه ، وسقطات أفعاله ، إنا [لن](٢) نبخسكم حقكم ، ولا نبخس الدين حقه عليكم ، وأنه من نازعنا عُروة هذا

---

(١) كان طلب الخلافة وظهر بأصبهان وبعض فارس ، فقتله أبو مسلم .

(٢) تكملة من تاريخ الطبرى حوادث ١٥٨] .

القميص أوطأناه خبيء هذا العمل[١] وأن أبامسلم بايع لنا على أنه من نكث بنا فقد حل ماله ودمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه لأنفسنا حُكْمَهُ على غيره لنا، ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحقّ عليه فيه، والسلام . وفى قتله يقول [أبو] دلامة الأسدى :

أبا مجـــرمٍ ما غيّر الله نعمــة   على عبــده حتى يغــيّرها العبــدُ
أبا مجـــرمٍ خوفتنى القتلَ فانتحى   عليك بمــا خوفتنى الأســد الوَرْدُ

باب مراث بليغة وعظات موجزة وأبيات مستحسنة

أنشدنى أبو محمد التوزىّ عن أبى عُبيدة لأخت عمرو ذى الكلب[٢] ترثيه فى كلمة وصفته فيها فأطنبت، وعدّدت فضائله فأكثرت، وذكرت عُظم فقده ومبلغ قدره فى حياته وانحطاط كل فخر وذكر بعد موته، وهو :—

(٥١)

يامن بمقتــله زُهِى الدهرُ   قد كان فيك تضــاءل البدرُ[٣]
كنت المجيرَ عليــه تقهــره   فإذا سطوت فقــد سطا القهــر
وإذا ســكتّ فإنهــا عِــدَة   وإذا نطقت تدفّــق البحــر
وإذا نظــرت إلى أخى عَدَم   أثرى وزال بلحظــك الفقر
وإذا رقــدتَ فأنت منتبِــهٌ   وإذا بدوتَ فوجهك البــدر
والله لو بك لم أَدَعْ أحدا   الا قتلتُ لفــاتنى الــوتر

[(١) فى الأصل : « جنى هذا العمل » ، وهو تصحيف . ورواية الطبرى : « أجزرناه خبيء هذا الغمد » . ويريد بخبيء الغمد السيف ، وقد علق الأستاذ الميمنى على رواية الأصــل بقوله : « الأظهر من الأصل « العمد »] .

(٢) الكلمة لا توجد فى أشعار هذيل ، وأخاف أنه وهم ، ورواها لأعرابية القالى ١ : ١ ٤ و ٣٩ والسراج ١٠ ٤ ١ باختلاف وزيادة ونقص .

(٣) الأصل فوق « البــدر » فوق « الدهر » ، وروى القالى « تضاءل الأمر » وبه يزول الإيطاء . [وزهى ، طائية ، تريد زهى] .

ما زال يحسد بطنُ أرضك ظهرَها   إذ تمّ أمرك واستوى القــدرُ
حتى حللتَ ببطنها فتقــدّست   فاليوم يحسُــد بطنَهـا الظهـرُ (١)

وهذا من أحسن المعانى وألطفها . ولها فيه أيضا كلمةٌ (٢) أولها :

سألتُ بعمــرٍو أخى صَحْبَــهُ   فأوحشنى حين هابوا السؤالا
وقالــوا تركناه فى غــارةٍ   بآية ما قــد ورثنا النِّبـالا (٣)
أتيــح له نَمِــرًا أجبُــلٍ   فنالا لعمــرُك منــه منالا
فأُقسمُ يا عمــرُو لو نَبّهاك   إذَنْ نبّهـا منـك داءً عُضالا
إذنْ نبّهـا ليثَ عِرِّيسـةٍ   مفيـدا مفيتا نفوسا ومالا (٤)

وكان سبب وفاته أن النمر وثب عليـه فقتله . وفى هــذه القصيدة من حُرّ الكلام وصادق المدح قولها :

وخَرقٍ تجـاوزتَ مجهــوله   بوجناء حَرْفٍ تشكّى الكلالا (٥)
فكنتَ النهـارَ به شمسُــه   وكنت دُجى الليل فيه الهلالا
فما بلغتْ مدحتى لامرئٍ   يَزُمُّ الكُماة ويعطى النــوالا (٦)
ويـنزل فى غمـرات الحـروب   إذا كره المحجمون النزالا

ومما اخترناه منها قولها : —

وخوفٍ وردتَ وثغرٍ سددتَ   وعِلْجٍ شددتَ عليـه الحبالا

---

(١) البيتان الأخيران مختلفا الوزن كما ترى .

(٢) أشعار هذيل ١ : ٢٤٤ ، الحصرى ٣ : ٢١١ ، البلاغات ١٧٢ ، ابن الشجرى ٨٢ ، العينى ٢ : ٢٨٢ ، البحترى ٣٩٣ ، المرتضى ٤ : ١٤٨ ، السيوطى ٣٩ ، خ ٤ : ٣٥٦ وهنا زيادة أبيات .

(٣) الأصل : « روينا » ، ولعله : « رددنا » ، كقول الحماسى :

وفتيان بنيت لهــم ردائى   على أسيافنا وعلى القسىّ

[(٤) العريسة : مأوى الأسد . والمفيت : مهلك النفوس والمال] . [(٥) الخرق : الفلاة الواسعة . والمجهول : الذى لم يسلك . والوجناء : الناقة الشديدة الصليبة . والحرف : الضامرة القوية] . [(٦) يقال زم البعير : خطمه ، وعلق عليه الزمام : تريد أنه يذل الشجعان ويقهرهم] .

وما ٍل حويتَ وخيل حميت ... وضيف قريت يخاف الوِكالا

وأبراد عصْب وخَطِّيّـةٍ ... بنيت اقومك منها الظِّلالا (٥٢)

وقالت امرأة من بنى أسد ترثى ابنها [(١)] :

لنعم الفتى أضحى بأكناف حائلٍ [(٢)] ... قِرًى للصفيح البيض والأسَل السمرِ

لعمرى لقـد أُرْديتَ [(٣)] غير مُزَنَّدٍ ... ولا مُغْلِقٍ بابَ السماحة بالعذر

فتى لم يزل مـذ شدَّ عقـدَ إزاره ... مُشيدَ مَعالٍ أو مقيما على ثَغْر

فتى لم يكذِّب فعـلُه نادباتِه ... بما قلن فيه لا ولا المادح المُطْرى

أرادوا ليُخفوا قبره عن عدوّه ... فطيب تراب القـبر دلّ على القبر

فيقال إن هذا أرثى بيت قالته العرب .

وقال أحد المحسنين [(٤)] أيضا :

وأخ رمانى الدهر فيـه بفقـدِه ... فالوجدُ من قلبى عليه دخيـلُ

هيهات لا يأتى الزمان بمثـله ... إن الزمان بمثـله لبخيلُ

وقال آخر :

هاتوا فتى يكفى مقـام محمّـد ... هيهاتَ ذلك واحد لا يوجدُ

وهذا من الأبيـات النادرة، وكذلك سبيلنا فيما نحكيه فى كتابنا .

---

(١) الحماسة ٢ : ١٨١ ، الأوّلان وثالث ليس هنا ، والثلاثة الأخيرة معروفة لمسلم بن الوليد ، الوحشيات ١٢٣ .

(٢) [حائل : واد فى جبل طيء ، وموضع بنجد] .

(٣) الأصل « أرودك » — ولعله « أردوك » . [والمزند : البخيل الضيق الممسك] .

(٤) ثانى البيتين معروف لأبى تمام فى (د) ٣٦٦ (سنة ١٨٨٩ م) ، والمعاهد ٢ : ١٢٧ .

وقال[1] :

جاتْ صنيعتُه فعـــمّ مُصـابه ... فالناس فيـه كلُّهـمْ مأجـورُ

فالناس مأتمهـمْ عليـه واحدٌ ... فى كلّ دار رنّةٌ وزفـــيرُ

تجرى عليك دموعُ من لم تُوله ... خـــيرا لأنك بالثناء جـــديرُ

ويُشا كل هذا البابَ قول عمارة بن عقيل لخالد بن يزيد بن مَزْيَد[2] :

أرى النـاسَ طُرًّا حامدين لخالد ... وما كلُّهم أفضت إليه صنائعهْ

ولن يترك الأقوام أن يحمدوا الفتى ... إذا كرمت أعراقُه وطبـائعهْ

فتى أمعنتْ ضراؤه فى عدوّه ... وخَصّتْ وعمّت فى الصديق منافعهْ

وأنشدنى عمارةُ بيتين لجرير يرثى بهما أخويه عمرا وحكيما[3] :

٥٣

خليلىّ كم من زفرةٍ قـد رددتُهـا ... ومن ظلمة وارت علىّ ضحًى حُجْرا

إذا ما دعا قـوم علىّ أخاهـــمُ ... دعوتُ فلم أسْمِـع حكيما ولا عمْرا

وحدّثنى الرياشى فى إسناد ذكره قال قال عمر بن الخطاب للخنساء : ما أقرحَ مآقى عينيك ؟ قالت : بكائى على السادات من مضر . قال : يا خنساء، إنهـم فى النار قالت : ذلك أطول لعويلى .

ويروى أنها قالت : كنت أبكى لصخر على الحياة وأنا أبكى له اليوم من النار .

---

(١) عبدالله بن أيوب التيمى، الحماسة ٣ : ٨، أو لحارثة بن بدر الغدانى، المرتضى ٢ : ٢ ٥ — بلا عزو مقطعات مراث ١١، ومعانى العسكرى ٢ : ١٧٤، والعيون ٣ : ٦٧ أو كثير، أو قطرب : الكامل ٧٢٣ أو مسلم، العقد ٢ : ١٨٨ أو الشمردل الليثى، السيوطى ٣١٣ أو الشمردل التيمى كما فى البصرية .

(٢) الكامل ٧٢٣، ومجموعة المعانى ١٧٦، وله فيه ضاديه بديعة نشرناها فى فرائد القصائد .

(٣) ليساقى (د) .

وهذا نظيرُ ما يروى أن عمرَ بنَ الخطاب رحمة الله عليه — قال لمتمم بن نويرة حين سمعه ينشد فى أخيه مالك[(١)] :

لا يُمْسِكُ العوراءَ تحت ثيابه ... حلوٌ شمائله عفيف المِئزرِ
ولنعم حشوُ الدرع كنتَ وحاسرا ... ولنعم مأوى الطارق المتنوِّرِ

لوددْتَ أنك رثيت أخى بما رثيتَ به أخاك، فقال له : يا أبا حفص، لو أعلم أن أخى صار حيث صار أخوك مارثيتُه ؛ يقول : إن أخاه قتل شهيدا . فقال عمر : ماعزّانى أحد بمثل تعزيته . وفى حديث آخر أنه رثى زيدَ بن الخطاب فلم يُجِدْ، فقال عمر : لم أرك رثيت زيدا كما رثيث مالكا! فقال : إنه والله يحرِّكُنى لمالك ما لا يحرِّكنى لزيد .

وأنشدنى الرياشىّ[(٢)] لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى عاصم بن عمر أخيه :

لئن تك أحزان[(٣)] وفائضُ عَبْرة ... أمَرْنَ نجيعا من دم الجوف مُنْقَعا
تجرعتها فى عاصم واحتسيتها ... لأعظمُ منها ما احتَسَى وتجرّعا
فليتَ المنايا كنّ صادفن غيره[(٤)] ... فعشنا جميعا أو ذهبنَ بنا معا (٥٤)

وقال إبراهيمُ بنُ عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدا[(٥)] :

أبا المُنازل ياعُبْرَ الفوارس من ... يُفْجَعْ بمثلك فى الدنيا فقد فُجِعا

(١) الكامل ٧٦١، ٧٩٢ خ ١ : ٢٣٧، التبريزى ٢ : ١٥٠، الخالديان مغربية الدار ٣٨٢، العقد ٢ : ١٧١ (٢) فى الكامل ٧١٥ بيتان . [(٣) فى الأصل : ايرثك أحزان » وهو تحريف . والصواب فى الكامل للمبرد، والرواية فيه :

فإن يك حزن أو تجرع غصة ... أمارا نجيعا من دم الجوف منقعا

«وأمرن» فى أول عجز البيت كانت فى الأصل (أثرن) ، والنجيع : الدم، ومنقع : ناقع طرى وأمار الدم : أساله وأجراه، ومار الدم يمور : جرى وسال] . (٤) على الهامش : «خلفن عاصما» صح .

(٥) مقاتل الطالبيين ، الثانية ٢٣١ ، ٢٥٢، شرح النهج ١ : ٣٢٤، الكامل ١٤٦

الله يعــلم أنّى لــو خَشيتُهمُ ... أوأوجس القلب من خوف لهم فزعًا
لم يقتـلوك ولم أُســلم أخى لهـمُ ... حتى نعيشَ جميعا أو نموتَ معـا

قال : وكان قتلَه فى المعركة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس وهو الذى قتل أخاه[1] — ويروى أنه قال : ما استغفرتُ الله قطّ من قتلهما .

وأنشدنى الرياشى لابن ميّـادة[2] فى رياح بن عثمان بن حيان المرّى وقتـل معه محمد بن عبد الله بن حسن :

أمرتُـك يا رياحُ بأمر حـزمٍ ... فقلتَ هشـيمةٌ[3] من آل نجــد
نهيتُـــك عن رجال من قريش ... على محبـوكة الأصـلاب جُرد[4]
ووجــدا ما وجدتُ على رياح ... وما أغنيتُ شـيئًا غيرَ وَجْـدى

ويروى[5] لعلىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه بيتان فى النبى صلى الله عليه وسـلم ، وهمـا :

فوالله لا أنساك أحمدُ ما مشت ... بىَ العيسُ فى أرض وجاوزتُ واديا
وإنى متى أهبط من الأرض تلعةً[6] ... أجدْ أثرا منهـا[7] جديدا وعافيـا

ويروى أنه لمـا مات أخو الحسن البصرى أجهش عليه بالبكاء ، فقال له رجل : وأنت يا أبا سعيد تبكى ! فقال : لقد بكى يعقوبُ على يوسف حتى ابيضّت عيناه فما

---

(١) يريد أن عيسى قتل محمدا ثم أخاه إبراهيم صاحب الأبيات . (٢) الكامل ٢٨

[(٣) هشيمة : جماعة ضعيفة . وأصل الهشيم النبت اذا جف وتكسر فذرته الرياح] .

[(٤) المحبوك : الذى أحكم خلقــه ، يقول إن أصلاب خيولهم موثقة مدمجة . والجرد جمع أجرد وهو قصير الشعر . يحذره من قريش أن يتسع الخرق عليه فلا يمكنه أن يرقعه] .

(٥) فى دستور معالم الحكم ١٩ من عشرة ، وتذكرة خواص الأمة طبعة العجم ٩٧ ، ومطالب السول ٦١ [(٦) التلعة هنا : ما انهبط من الأرض وانحــدر ، أو مجرى الماء من الجبل الى الأرض] . (٧) تحته « منه » .

عيره الله بذلك . وقال رسولُ الله صلّى الله عليه : "ما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن القسوة والشيطان" .



ويروى أن عبيد الله بنَ العباس كان عاملا لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على اليمن ، فخرج إلى علىّ واستخلف على صنعاء عمـرَو بنَ أراكةَ الثقفى ، فوجه إليه معاوية بُسْرَ بنَ أرطاة ، فقَتَل عمرَو بن أراكة ، فجزع عليـه أخوه عبدُ الله فقال أبوه[1] فى كلمة له :

وقلتُ لعبـدِ الله إذْ جدّ باكيا ... حزينا وماءُ العين منحدِر يجـرى
لَعمرى لئن أتبعْتَ عينيك مامَضَى ... به الدهرُ أو ساق الحِمامُ إلى القبر
لَتَسْتَنْفِدَنْ ماء الشؤون بأسـره ... ولو كنتَ تَمْرِيهنّ من ثَبَجِ البحر
تأمَّلْ فإن كان البكا ردّ هالكا ... على أحد فاجهـدْ بكاءً على عمرو
ولا تبك مَيْتـا بعد ميت أَجَنَّـه ... علىّ وعبـاسٌ وآل أبى بكـر[2]

وكان بُسْر قتل خَلْقا باليمن — يقول بعضهم — حتى أخاض الخيلَ فى الدماء . وكان فيمن قُتِـل طفلان لعبيد الله بن العبـاس[3] أخذهما من المكتب ، فروىَ أنه قتلهما وهمـا يقولان : يا عمّ لا نعود . وأما الروايةُ الفاشِيَة التى كأنها إجماع فإنه

---

(١) أو أخوه عبـد الله . والأبيات فى الكامل ٧٢٠ ، الزجاجى ٧ ، المرتضى ٢ : ١١٣ ، ابن الشجرى ١٣٨ ، العقد ٢ : ١٩٨ ، القالى ٢ : ٣ و ٢ ، سمط اللآلئ ٦٢٧

[(٢) أجنه : قبره ودفنـه ، والجنن : القبر لأنه يجنّ الميت أى يستره ، والجنن : الكفن أيضا . والميت الذى أجنه من ذكرهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمروىّ أن الذين نزلوا بقبره هم علىّ ابن أبى طالب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأخوه قثم بن العبـاس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأراد بآل أبى بكر السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، فقد دفن فى بيتها] .

(٣) الأصل : « عبد الله » . وهذا كله إلى آخر الأبيات الفاوية فى الكامل .

أخذهما من تحت ذيل أمهما — وهى امرأة من بنى الحارث بن كعب — ففى ذلك تقول لما خرج بهما من عندها :

أَلا مَنْ بينَ الأَخَـوَيـ ... ـنِ أُمُّهما هى الثَّكلَى
تسائل مَنْ رأى ابْنَيْهـا ... وتَسْتَبغِى فما تُبْـغَى [1]

وقالت أيضاً [2] :

يا مَنْ أحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هما ... كالدرَّتين تشظَّى عنهما الصدف
يا مَنْ أحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هما ... قلبى وطرفى فقلبى اليوم مُخْتَطَفُ
يا من أحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمُخِّى اليوم مُزْدَهَفُ [3]
نُبِّئْتُ بُسْرًا وما صدّقت ما ذكروا ... من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا
أَنحى على وَدَجَىْ شِبْلَىَّ مُرْهَفَـةً ... من الشِّفار ، كذاك البغى يُقترفُ

(٥٦)

ويروى أن عمر بنَ الخطاب عزّى أبا بكر رحمة الله عليهما عن طفل له فقال : عوّضك الله منه ما عُوِّضَه منك ، فإن الطفل يعوَّض من أبويه الجنّة . وقال رسول الله صلى الله عليه : " إن الطفل لا يزال مُحْبَنْطِئًا [4] على باب الجنّـة يقول : لا أدخل الجنة حتى يدخل أبواى " .

[(١) استبغى : طلب ، أى تطلب من يطالب لها بثأرها ممن بغى عليها بقتل ابنيها فلا تجد طالبا] .

(٢) الكامل ٧٢١ ، البلاغات ١٨٤ ، الاشتقاق ٧٢ ، المروج (معاوية) ، المعارف (١٣٠٠ هـ) ص ٣٩

[(٣) مزدهف : مستطار . وأصل الازدهاف استطارة القلب من جزع أو حزن] .

(٤) محبنطئا : مستلقيا ، والحديث فى الفائق ١ : ١١٦ ، والنهاية ١ : ٢٢٨ ، وفى هذا الحرف تصحيف . انظر له التصحيف ١٨ و ٦٤ ، الأشباه ٣ : ٢٨ ، الأدباء ٢ : ٣٧٢ ، المزهر (الثانية) ٢ : ٢٢٢

وقال العتبي يرثي بنيه — وكانوا ستة تَوَالَوْا موتا :

يا ستةً أودعتُهم حُفَرَ البِلى ... لخدودهم عفْرُ الجَبُوبِ وسادُ [(١)]
منعوا جفوني أن يصافح بعضُها ... بعضا فهنّ و إن قَرُبْن بِعادُ
لم تبقَ عينٌ أسعدت ذا عَبْرة ... إلا بكت حتى بكى الحسّاد

وله أيضا فيهم [(٢)] :

وكنت أبا ستّة كالبدو ... رِ قد فقئوا أعين الحاسدينا
فمرّوا على حادثات المنون ... كمرّ الدراهم بالناقدينا
فالقين هذا إلى ضارح [(٣)] ... وألقين هذا إلى لاحدينا
فما زال ذلك دأبَ الزما ... ن حتى أبادهمُ أجمعينا
وحتّى بكى لىَ حُسّادُهم ... وقد أتعبوا بالدموع العيونا [(٤)]
وحسبك من حادث بأمرئ ... ترى حاسديه له راحمينا
فمن كان يُسْليه مرّ السنين ... فحزني يجدّده لى السنونا

وقال مسلم بن الوليد يرثى أخاه فى كلمة له [(٥)] :

وإنى و إسماعيل يوم فراقه ... لكالغمد يوم الرّوع فارقه النصلُ
فإن آتِ قوما بعده أو أزرْهمُ [(٦)] ... فكالوحش يدنيها من القَنَص المَحْلُ

[(١) العفر : التراب . والجبوب : الأرض ، سميت الجبوب لأنها تجب أى تحفر ، أو لأنها تجب من يدفن بها أى تقطعه] .

(٢) الأبيات ١٢ فى العيون ٣ : ٦٠ و ٤ : ٩ ، و ٣ فى الوحشيات ١٣٧ .

[(٣) ضارح : اسم فاعل من ضرح لليت ؛ حفر له ضريحا ، والضرح : الشق والحفر] .

(٤) العيون : «أقرحوا بالدموع الجفونا» .

(٥) الوحشيات ١٠٨ ، معانى العسكرى ١ : ٧١ ، الشعراء ٢٩ ، الزهرة ٣٥٧ ، البيان ج ٣

(٦) الأصل : « أزورهم » .

قال أبو العباس : قصدنا فيما نحكيه فى كتابنا هذا حُسْنَ الاختيار وكثرة الاختصار ، وذكرَ ما يُستغنى به عن غيره ، ويُقْنع بمثله عن نظيره ، وإنما نذكر فى كل باب أحسنَ ما روى لنا فيه ، وأطرف ما نَمَى إلينا منه . ولو ذهبنا نستقصى (٥٧) آخرَ هذا الباب لمدّ بنا الحديث وطال بنا القول . والحمد لله الموفق المعين .

باب

نذكره ونشرح فيه بعض أخبار المعمَّرين وأشعار العرب المحدَثين فى ذمّ الشيب وفقد الشباب ، ومدح من مدح شيبَه وذمّ مَن ذمّه ، ووصف إسراعه إليه وتغييره إياه على كثرة ذلك وتفاوُته ، ونفصّل ما نحكيه من ذلكَ ، ولِمَ اخترنا ما اخترناه . وبالله الحول والقوة .

حدّثنى الرياشىّ عن الأصمعى قال : كان ربيعة بن نزار يحمل أخاه مضر على عنقه ويقول : اللهم بلِّغ به ، وكان أكبرَ منه بنحو من خمسين سنة .

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال : قيل لشيخ قد ذهب منه المأكل والمشرب والنكاح : هل تشتهى أن تموت؟ قال : لا ، فقيل له : فما تشتهى؟ قال : أشتهى أن أعيش وأسمع الأعاجيب .

وأنشدنى الرياشىّ لعلىّ بن الغَدير الغَنَوى :

وهُلك الفتى ألّا يَراحَ إلى النَّدى (1) وألّا يَرى شيئا عجيبا فيَعْجَبا

وحدّثنى الرياشىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال : [قيل] لشيخ قد بلغ ثلاثين ومائتى سنة : كيف رأيت عيشك ؟ قال : عشت مائة سنة لا أُصدّع ، وأصابنى فى الثلاثين والمائة ما يصيب الناس (٢) .

---

(١) من الأريحية ، من ستة أبيات ، القالى ٢ : ١٨٣ ، ١٨١ .

(٢) أمالى الزجاجى ١٢

وحدثني الرياشيّ قال: سمعت الأصمعي يقول قال أبو عمرو : عاش المستوغِر(١) ابن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عشرين وثلاثمائة سنة . وزعموا أن سعدا تناسلت في شيبه . وسمعت ابن العجاج قال: مرّ المستوغِرُ بنُ ربيعة يقود ابنَ ابنه بعكاظ، فقيل : من ذا ؟ قال : ابن ابني، قالوا : وما رأينا كاليوم في الكذب مثلَك قط، لو كنت المستوغِرَ ما زاد، قال: فأنا المستوغر . وفي حديث آخر : فلما رأوه يقوده ظنّوا أنه أبوه فقالوا : ارفق به فطالما رَفَق بك، فقال: إنه ابن ابني. (٥٨)

ويروى من غير وجه أن معاويةَ قال لجلسائه: أشتهي أن أرى رجلا قد لقي الناس، وسمع الأعاجيب، ورأى مَنْ كان قبلنا يحدّثنا عن زمانه، وأين زماننا مما مرّ عليه. فقيل له : ذاك رجلٌ بحضْرموت، فأُتي به، فأقبل عليه فقال له : ما اسمك؟ قال: أمد، قال ابنُ مَن؟ قال: ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السنّ ؟ قال : ثلاثمائة وستون سنة، قال : كذبت، وتشاغل عنه بغيره . ثم أقبل عليه فقال له : ما اسمك ؟ قال : أمد، قال : ابن من ؟ قال : ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السنين؟ قال : ثلاثمائة وستون سنة، قال : فحدّثنا عما رأيتَ من الأزمنة ؛ أين زمانُنا منها؟ قال : وكيف تسأل رجلا يكذب؟ قال : أحببتُ أن أعرف مقدار عقلك، قال : يومٌ شبيه بيوم، وليلةٌ شبيهة بليلة، ولدٌ مولود، ووالدٌ مفقود، فلولا من يولد لم يبق على ظهرها أحد، ولولا من يموت لم يَسَعْهم بلد، قال : ما كانت صناعتك ؟ قال : كنت تاجرا، قال: فما بلغتَ في تجارتك ؟ قال : كنت لا أشتري غَبنا، ولا أردّ ربحا ، قال : سلني حاجتك، قال : أسألك أن تدخلَني الجنة ، قال : ليس ذاك إليّ . قال : فأسألك أن تردّ إليّ شبابي، قال : ولا ذاك إليّ . قال :

(١) المعمرون رقم ٩ ، والمرتضى ١ : ١٦٩ ، والإصابة رقم ٨٤٠٥ ، وقد صحف الاسم ، وفيه خبر عقبة بن رؤبة بن العجاج ، وفي الروض الأنف ١ : ٦٦ عن الشعراء ٢٢٧ .

فلستُ أرى بيدك شيئا من أمور الدنيا والآخرة ، قال : هو والله ذاك ، قال : فارددنى من حيث جئت ، ففعل به ذلك . (٥٩)

ويروى أنه مكتوب فى الحكمة : مَنْ بلغ السبعين اشتكى من غير علّة .

وأُنشدت عن الزُّبير[(١)] :

أرجّى شبابا بعد تسعين حِجّة ... لَهَنِّى[(٢)] لا فى مَطمع لطموع

وقال آخر[(٣)] :

هَزِئتْ[(٤)] أسماءُ منى وقالت ... أنت يا بن الموصلى كبيرُ

ورأت شيبا علانى فصدّت ... وابن ستّين بشيب جدير

وقال أحد المحسنين ، وهو النَّمِر بن تولب[(٥)] :

كانت قناتى لا تلين لغامز ... فألانها الإصباحُ والإمساءُ

ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا ... لِيُصحّنى فإذا السلامة داء

وقال بعض الأعراب[(٦)] :

وللكبير رَثَيَاتٌ أربعُ ... الرُّكبتان والنَّسا والأخدعُ[(٧)]

ولا يزال رأسه يَصّدّع ... وكلّ شىء بعد ذاك يَيْجعُ

وقال الهيثم بن عدىّ : لقِىَ رجل الهيثمَ بنَ الأسود[(٨)] فقال له : كيف تجدك

---

(١) فى الأصل : «زبير» . [(٢) لهنى : أصله «لأنى» ، فمن العرب من يبدل همزة إنّ هاء مع اللام كما أبدلوها فى هراق الماء] . (٣) وهو إسحاق الموصلى كما سمى نفسه ، من ١٣ بيتا ، غ ٥ : ٦٨ ، (طبعة الدار) ٥ : ٣٠٢ . [(٤) فى الأصل «هزيت» ، والتصويب عن الأغانى»] . (٥) العيون ٢ : ٣٢٢ ، والعقد ٢ : ٥٤ ، الصناعتين ٢٨ ، وثانيهما فى الإعجاز (مصر) ١٤٤ ، وخاص الخاص ٨٠ للجعدىّ . [ونسب المبرد فى الكامل ص ١٢٥ البيتين لبعض شعراء الجاهلية ، وقال شارحه : ينسبان إلى عبد الرحمن بن سويد المرّىّ] . (٦) أبو النجم ، الألفاظ ١١٤ و ٦٢٠ ، أو جوّاس بن نعيم المعروف بابن أم نهار ، ل (رثى) . [(٧) الرثية : وجع وانحلال يعرضان فى الركبتين والمفاصل] . (٨) الخبر والقطعة فى البيان ١ : ٢١٣ و ٢ : ٣٣ ، والحيوان ٥ : ١٨ ؛ قال : قدم الهيثم على عبد الملك ... وفى العقد ٢ : ٥٢ المستوغر على معاوية ، وفى العيون ٢ : ٣٢١ العريان بن الهيثم ، والشطران ٤ و ٥ الأزمنة ٢ : ٣٦٨ .

يا أبا العُرْيان ؟ قال : أجدنى صالحا ، وأصبحتُ على ذاك قد ابيضّ منى ما كنت أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنت أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ منى ما كنت أحبّ أن يلين ، ولان منى ما كنت أُحبّ أن يشتدّ ، ثم قال :

إنى سأُنبيك بآيات الكِبَرْ ... تقارُبِ المشى وضَعفٍ فى البصرْ
وقِلّةِ النوم إذا الليل اعتكرْ ... وقِلّةِ الطُّعْم إذا الزاد حضرْ
وتركِيَ الحسناء فى قُبْلِ الطُّهُرْ ... وكثرةِ النسيان فيما يُدّكَرْ
(٦٠) والناس يَبْلَوْن كما يَبْلى الشجرْ ... فهذه أعلامُ آيات الكِبَرْ

وقال أعرابى :

لا بارك الله على وجه الكِبَرْ ... فإنه يأمر للمرء بشَرْ
* وخُبثِ ريحٍ وبياضٍ فى الشَّعَرْ *

وقال آخر[1] :

إنى وإنْ أفنى الزمانُ نَحْضى[2] ... وأسرعتْ أيامُه فى نَقْضى
بمنحفات[3] وأمورٍ تَمْضى ... حتّى حنتْ طولى وضمّت عَرْضى
وابتزّنى بعضى وأبقى بعضى ... وقَصُرت رجلاى دون الأرض
وهمّ أهلُ ثقتى برفضى ... ينفعُ حُبّى ويَضُرّ بُغضى

وقال آخر :

قد صرت يا عمرو كأنّى نِقْضُ ... تَسَوَّر الشَّيبُ وخَفّ النَّحْضُ[4]
وصار قُدّامَ قيامى نهضُ ... وصار لا يحمل بعضى بعضُ

(١) وجدت أشطارا تشبهها ، ومنها شاهد سيبويه ١ : ٢٦ : « طول الليالى أسرعت فى نقضى » فى خ ٢ : ١٦٨ ، والمعمرين ١٠٦ ، وغ للأغلب العجلى ، والمروج (وفاة معاوية) ، والسيوطى ٢٩٨ ، والبيان ج ٣ . وكان ابن السيرافى نسبها للأغلب ، فناقضه الأسود فى فرحة الأديب الرقم ١١٦ ، وقال : « إنها لغيره من شوارد الرجز » . [(٢) نحضى : لحمى] . [(٣) كذا بالأصل ، ولعلها محرّفة عن « تنضى » ، من أنضاه الهم والمرض ونحوهما إذا هزله فذهب لحمه] .

[(٤) النقض : البعير الذى أنضاه السفر . وتسوّر الحائط : علاه مثل ما يهجم اللص] .

يقول : تسور الشيب وأنا غافل ، أى كما يفعل اللّص ، أى تقحم . وقوله : قدّام قيامى نهض . يقول : إذا أردت أن أقــوم نؤتُ أولا ثم استقللت ، أى صرت كبيرا لا أستقل بنهضتين(١) ولا ثلاث .

وحدّثنى التوزى قال : رأى رجلٌ(٢) من العرب بنيه يركبون الخيل باقتدار ، فأعجبه ذلك منهم ، فحاول مثلَ ذلك مرّة أو مرّتين ، فأعجزه الوثوب ، فقال : مَنْ سرّه بنوه ساءته نفسه . وقال بعضهم :

يمــوت مــنّى كلَّ يوم شىٌّ وأنا فى ذاك صحيــحٌ حىٌّ
وكم عسى ما قــد يدوم الفَىُّ(٣) وآخر الداء العَيــاء الـكَىُّ

وحدّثنى الرياشىّ — ولا أحفظ عمن حدّثنيه — قال : دخل أبو الأسود الدّئلىّ على عبيد الله بن زياد(٤) فقال يهزأ به : يا أبا الأسود ، لو علّقتَ عليك تميمة ! فإنك جميل الوجه ، فقال أبو الأسودُ(٥) :

أفنى الشبابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَه مرُّ الجــديدين من آت ومنطلق (٦١)
لم يتركا لىَ فى طول اختــلافهما شيئا يُخاف عليــه لذعةُ الحَدَق

وأنشــد :

مَنْ يشترى شيخين منّى بفتًى إنّ الشيوخَ فيهــمُ كُلّ أذى

قال أبو العباس : كانت العرب تذكر الشيب فى أشعارها إمّا مدحا وإما ذمّا ، وشعرهم فى ذمّه أكثر منه فى مدحه . ويروى أنه قيل : مابالُ شِعْرِكم فى الشيب أحسن أشعاركم فى سائر قولكم ؟ قالوا(٦) : لأنا نقوله وقلوبنا قَرِحة .

(١) الأصل : «بنهضين» . (٢) هو ضرار بن عمرو الضبى ، العسكرى ١٨٨ و٢ : ٣٠٤ ، الميدانى ٢ : ٢١٣ و١٧٠ و ٢٢٨ ، أمثال الضبى (الجوائب) ٧٧ [(٣) الفىّ ، أصله الفىء ، وهو مانسخته الشمس فى العشى.] . (٤) غ ١١ : ١١٣ : « على معاوية » ، وكذا العقد ٢ : ٤٩ ، الخالديان (مغربية الدار) ٢٦٨ « قالت ذلك امرأة له » . (٥) محاضرات الراغب (الأولى) ٢ : ١٨٩ ، العيون ٤ : ١٩ ، الكامل ٣٢٩ (٦) فى الأصل : « قال » .

وقال يونس النحوى : مابكت العربُ على شىء بكاءها على الشباب ، وما بلغت به كُنْهَ ما يستحق . ويروى أن بعضهم رأى يوما شيبة فى رأسه فقال : شرّ بديل وخير مبدول . وقال ابن قيس الرُّقَيّات (١) :

رأت (٢) بى شيبة فى الرأ ... س منى ما أُغَيِّبها
فقالت (٣) : أَبْنُ قيس ذا؟ ... وبعض الشيب يُعجبها

أى تتعجّب منه ، ليس أنها معجَبة به . وأنشدنى أبو العالية (٤) :

يا ربّ بيضاء علَى مُهَشِّمهْ ... أعجبها أكلُ البعير اليَنَمهْ (٥)

بيضاء : امرأة . ومُهَشّمة : موضع ، أعجبها أى تعجّبت منه ، كما قال الجَعْدِىّ يصف ثورا :

* فأراه صورة تُعْجِبُه *

وقال النمر بن تولب :

لعمرى لقد أنكرتُ نفسى ورابنى ... خلائقُ منها لم تكن من شمائلى
مطاوعتى مَنْ كنتُ لستُ أُطيعه ... وأنى أرى بَثّى عن اللهو شاغلى
وبُدِّل رأسى الشيبَ بعد سواده ... فأصبحت ذا شُغْل وأقصر باطلى
وأصبحت قد أعرضن عنى وسؤننى ... وأخلفنى عهد الخليل المماطل
ألا إن شيب الرأس ليس بآفة ... تَضيرك إلا فى النساء الجواهل

(٦٢) وحدّثنى الرياشى قال : تزوج عبد الله بنُ عامر بأم كلثوم بنتِ معاوية ، فنظر إلى وجهه فى المرآة مع وجهها فرأى شيبة فى لحيته ، فقال لها : أيتها المرأة ، اِلحَقى بأهلك ،

---

(١) (د) ص ٢١٨ ، الكامل ٣٨٩ ، (٢) الأصل : « رأى شيبة » .
(٣) الأصل : « فقال ابن قيس » . (٤) البلدان (مهشمة) ، وهى قرية باليمامة .
[(٥) الينمة : عشبة طيبة إذا رعتها الماشية كثرت رغوة ألبانها] .

فلما جاءت إلى أبيها قال لها : لعلكِ أسأتِ عِشْرة زوجك ، قالت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أدرى لم طلّقنى ؟ فوجّه إليه معاوية فأحضره ، فقال : ما أنكرت من أهلك ؟ قال : لا شيء والله يا أمير المؤمنين ، إلا أنى نظرت إلى وجهى ووجهها فى المرآة ، فرأيتُ شيئًا قد ظهر بى ، فكرهتُ أن يفسُدَ شبابُها معى ، فطلقتها لتتمتّع بالأزواج .

وقال جرير فى كلمة له [1] :

يا قلّ خيرُ الغوانى كيف رُعن به ... فشربه وَشَلٌ فيهنّ تصريدُ
أعرضن من شَمَط فى الرأس مشتعل ... فَهُنّ عنى إذا أبصرننى حِيدُ
قد كنّ يعهدْن منّى مَضْحَكًا حسنًا ... ومَفرِقًا حَسَرت عنه العناقيد
فهنّ يَنْشُدْن منى بعضَ معرفة ... وهن بالوُدِّ لا بُخْلٌ ولا جود
قد كان عهدى حديثًا فاستُبِدّ به ... والعهدُ مُتّبع ما فيه منشود
فقلن لا أنتَ بعْلٌ [2] يستقاد له ... ولا الشباب الذى قد فات مردود
كأنما باتت الصِّردان [3] تَنْتِفه ... حتى تطاير عنه طيره السود
هل الشباب الذى قد فات مردود ... أم هل دواء يردّ الشيبَ موجود
لن يرجع الشّيبُ شُبّانا ولن يجدوا ... عِدْلَ الشباب لهم ما أورق العود
إن الشباب لمحمود بشاشته ... والشيب مُنْصرَف عنه ومصدود

وأنشدنى مسعود بن بشر [4] :

قَعَدَ [5] الشيبُ بى عن اللذّاتِ ... ورمانى بجفوة القَيْناتِ
فإذا رُمتُ ستره بخضاب ... فضحتْه طلائعُ الناصلات (٦٣)

(١) الأصل : « جرير له فى كلمة له » . [(٢) فى الأصل : « فعل »] . [(٣) الصردان : جمع صرد ، وهو طائر فوق العصفور] . (٤) الأصل : « بشر بن مسعود » . (٥) فى الزهرة ٣٣٧ السبعة ، وفيه البيت الثالث : « ما رأيت الخضاب » ، وفى البيت السابع : « بحادث الشيب دهر » .

ما رأيتُ الشباب إلا سرابا ... غرّني لمعُه بأرض فلاة
فإذا ما دعاك للكأس داعٍ ... قيل ما للكبير والنشوات
لستُ بعد الشباب ألتذّ بالعيـ ... ـش فدعني بغصّة العبرات
إن فقد الشباب أنزلني بعـ ... ـدك دار الهموم والحسرات
ورماني بحادث الدهر شيبٌ ... قارعتني أيامه عن حياتي

وقال الطائي (١) :

أرى ألِفاتٍ قد كُتبن على راسي ... بأقلام شيب في صحائف أنقاسي (٢)
فإن تسأليني من يخطّ كتابها ... فكفّ الليالي تستمدّ بأنفاسي
جرت في قلوب الغانيات لشقوتي (٣) ... قُشعريرةٌ من بعد لين وإيناس
وقد كنتُ أجري في حشاهنّ مرّةً ... مجاري معين الماء في قضب الآس

وقال أبو العتاهية (٤) في مثل قوله :

فكفّ الليالي تستمد بأنفاسي *

الشيبُ كرهٌ وكُرهٌ أن يفارقني ... أعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشبابُ وقد يأتي له خلفٌ ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

ومثله قول الآخر وهو عليّ بن محمد العلوي (٥) :

لَعَمرُك للمشيب عليّ مما ... فقدتُ من الشباب أشدّ فوتا
تمليتُ الشباب فصار شيبا ... وأبليتُ المشيب فصار موتا

---

(١) (د) ١٨٨٩ ص ٤٣٠ [(٢) أنقاس : جمع نقس (بكسر أوله) : المداد الذي يكتب به ، وأراد أبو تمام به شعر الشباب الأسود] . (٣) (د) : « لشيبتي » .

(٤) المعروف مسلم بن الوليد ، وقيل لبشار ، والمظان في السمط ٣٢٤ ، وشرح بشار ٣٣٧ ، وانظر أحسن ما سمعت ١٤٥ ، ومجموعة المعاني ١٢٦ .

(٥) كما في معاني العسكري ٢ : ١٥٨ ، والمعاهد ١ : ٢٠١

وقال الحسن : الشباب الصحة ، والسلطان المـال ، والعزّ الغنى عن الناس .

وأنشدنى مسعود بن بشر[١] فى مدح الشيب لكثيّر[٢] فى عبد الملك بن مروان :

رأيتُ أبا الوليــد غداةَ جَمْعٍ[٣] ... بـه شَيْبٌ وما فقَــد الشـبابا
ولكنْ تحتَ ذاكَ الشيبِ حَـزْم ... إذا ما ظَن أَمْرضَ[٤] أو أصـابا

وقال إبراهيم بن المهدى[٥] : (٦٤)

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب ... فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب!
لقد جَلَّ قَدْرُ الشَيبِ إن كان كُلّما ... بَدَتْ شَيبة يَعْرَى من اللّهو مَرْكَب

وقال آخر :

أَلْقَ عصاهُ وأَرْخَى من عِمامته ... وقال ضَيْفٌ فقلت الشيب قَال أَجَلْ
فقلتُ أخطأتَ دارَ الحىّ قال ألا ... تَمّتْ لك الأَربعون الحول ثم نَزَلْ
لله شَيْبٌ رمى قلبى بلَوْعَتـه ... كأنمـا اعْتمّ مِنْـهُ مَفْرِقى بجَبَـلْ

وأنشد إسحاق :

كان الشـباب نَخِضاب فَنَصَلْ ... وآختـاره الشيبُ محـلًّا فنزلْ
فأَزعج الشيبُ الشـبابَ فارتحَلْ ... والشيبُ داءٌ قاتلٌ وإنْ مَطَلْ

ولأبى العتاهية[٦] :

يا خاضبَ الشيبِ بالحِنّـاءِ تَسْتُرُهُ ... سَـلِ المليكَ له سِترًا من النـار
لن يرحلَ الشيبُ عن دارٍ ألمّ بها ... حتى يُرَحِّلَ عنهـا صاحبَ الدار

---

(١) الأصل : «بشر بن مسعود» . (٢) الحيوان ٣ : ١٨ ، ل (مرض) ، السمط ٧٢٩ [(٣) جمع : اسم ؛ اسم للزدلفة] . [(٤) أمرض الرجل : قارب الإصابة فى رأيه وإن لم يصب كل الصواب . والبيتان فى تاج العروس نقلا عن صحاح الجوهرى منسوبان للأُقيشر الأسدى ، وهو شاعر أموى كوفى ، واسمه المغيرة بن عبد الله] . (٥) أو ابن مفرغ ، أو ابن هرمة ، أو الشطرنجى . وانظر السمط ٣٣٨ (٦) مسلم بن الوليد ، فى شرح بشار ٣٣٨ ، المعاهد ١ : ٢٠٠ الثانى فقط ، وهما فى أحسن ماسمعت ١٤ لابن المعتز .

وكان الخضاب يستحبّ . وقد خضب أبو عبد الله الحسين بن علىّ صلوات الله عليهما . ويروى أنّ قائلا قال للرضىّ : أأخضب ؟ قال : نَعَمْ، بالحنّاء والخِطْر[(١)]، ثم قال : أما علمت أن لك فى ذلك أجرا؟ قال : وكيف؟ قال : ألا تعلم أنها تحبّ أن ترى منك مثل الذى تحبّ أن ترى منها ؟ لقد خرج نساء من العفّة ما أخرجهن إلّا قلّة هيئة أزواجهن لهن . قال وأنشد :

الشيبُ زهَّـدَ فيكَ من تَصِـلُ ... ولقـد جَفـا بكَ بعـدَهُ الغَـزَلُ
ولــذاك ما قالتْ لجـارتها ... هيهـاتَ شَـيْخٌ بعـدَنا الرجُـلُ
قُــولِي له يَخْتـارُ بِي بَــدَلا ... من حيثُ شاءَ فـلِي بِهِ بَـدَلُ

وقال آخر[(٢)] :

رأينَ الغوانى الشيبَ لاح بعارِضى ... فأعرضْنَ عنّى بالخـدود النواضر
وكنّ إذا أَبصرنَنى [أ] وسَمِعْنَ بى ... سَعَيْنَ فرقّعْنَ الكُوَى[(٣)] بالمحَاجر

وقال محمد[(٤)] بن عبد الملك الزيات يشتكى مصابه ويذكر فجيعته ويبكى على زمانه : ٦٥

عَرِيتُ من الشباب وكنتُ غَضًّا ... كما يَعْرَى من الوَرق القضيبُ
ونُحْتُ على الشـباب بدمع عينى ... فمـا نفـع البكـاءُ ولا النحيبُ
فيـا أسـفا أسِفتُ على شـباب ... نفـاه[(٥)] الشيبُ والرأسُ الخضيبُ
ألا ليت الشـبابَ يعودُ يـوما ... فأُخْـبِرَهُ بمـا فعـل المشيبُ

---

(١) [الخطر (بالكسر) : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود] .

(٢) أبو عبد الرحمن العتبى، البيان ٢ : ٩٤، العينى ٢ : ٤٧٣، الوحشيات ٢٣٥، العقد ٢ : ٤٦

(٣) [الكوى : الثقوب، والمحاجر : جمع محجر وهو للعين ما يبدو من النقاب] .

(٤) أبو العتاهية، معانى العسكرى ٢ : ١٥٥، الراغب ٢ : ١٩٥، البيان ٣ : ٤٢ بلا عزو والوحشيات ٢٣٢ .

(٥) وتحته : « نعاه » كما فى الوحشيات .

باب شعر وغريب ولغة

حدثنى المازنىّ عن أبى زيد الأنصارىّ قال : سمعت[١] العرب تقول فى أسماء الدواهى : لقيت منه البُرَحين والبِرَحين والفِتَكْرِين والفُتَكْرِين . قال : وحكيت لى الفِتَكْرِين ولم أسمعها من العرب[٢]، وأنشد :

قــد كلّفتْ راعيهَــا الفِتَكْرِين … إضمــامةٌ[٣] من ذَوْدِنا الثلاثينْ

ولقيتُ منه الدهارس، واحدها دُهْرُس، وهى الدواهى . وقال الكلبىّ : الدهاريس، قال المتلمّس[٤] :

حنّت إلى النخلة القصوى فقلت لها … بَسْــلٌ حرامٌ ألا تلك الدهاريس

---

(١) باب الدواهى فى الألفاظ ٤٢٨ والمخصص ١٢ : ١٤٢ وكتب الأمثال : «لقيت منه كذا، ووقع فى كذا، وجاء بكذا، ورماه الله بكذا، وإنه لكذا» .

(٢) ولكن التاج أنشد لابن حلزة (فتكر) :

كايب العير أيسر منك ذنبا … غــداة يســومنا بالفتكرين

[البيت ليس للحارث بن حلزة، وإنما هو لرجل من كلب قديم . وفى تاج العروس ما نصه : قال ابن دريد وأنشد ابن الكلبى لرجل من كلب قديم فيما ذكره بجعل كليبا عيرا ، كما جعله الحرث بن حلزة أيضاً عيرا فى شعره :

كايب العير أيسر منك ذنبا … غــداة يســومنا بالفتكرين

فما يجيبكم منا شبام … ولا قطن ولا أهــل الجون

وشعر الحرث بن حلزة الذى جعل فيه كليبا عيرا قوله فى معلقته :

زعمــوا أن كل من ضرب العيــ … ــر مــوال لنا وأنى الــولاء

فقد قيل إنه أراد بالعير كليبا، أى أنهم قتلوه، فجعل كليبا عيرا، وقيــل العير هنا سيد القوم ورئيسهم ، وقيل غير ذلك (انظر تاج العروس ولسان العرب فى (عير، فتكر)، وشبام : جبــل عظيم منيع باليمن ، وقطن : جبل فى نجد كان لبنى أسد . والجون : جبل بعلاة مكة] .

[(٣) الإضمامة : الجماعة، وأصــله فى الناس ليس أصــلهم واحدا، ولكنهم لفيف من أصــول مختلفــة] .

(٤) (د) : والمختارات .

وقال أبو زيد [١] : البَسْل الحرام، والبَسْل الحلال، وهو عندهم من الأضداد، قال ابن همام السَّلولىّ للنعمان بن بشير الأنصارى :

زيادتَنا نعمانُ لا تحرِمَنَّنا تَقِ اللهَ فينا والكتابَ الذى تتلو
أيُثبَت ما زدتمْ وتُلْغَى [٢] زيادتى دمى — إن أُحِلَّت هذه لكمُ — بَسْلُ

يقول : حلال .

وأنشد أبو زيد لضمرة [٣] بن ضمرة النهشلى، وكان فى الجاهلية من الفُتّاك :

بكرتْ تلومك بعد وَهْنٍ فى الندى بَسْلٌ [٤] عليكِ ملامتى وعتابى
أأصُرُّها [٥] وبُنَىُّ عمّى ساغبٌ فكفاكِ من إبَةٍ علىّ وعابِ (٦٦)

يقال فى كل شىء عُجِل به : فى أىّ وقت بُكِرَ به، ويقال : بكرتُ على فلان عشية أمس، أى فى أول أوقات العشىّ، ليس البُكْرة للغداة، ألا ترى إلى قوله : «بعد وَهْن» أى بعد ساعة من الليل، ومنه سُمّيت الباكورة . وقوله : «من إبة علىّ» يقال أوِبْتُ [٦] إبة أى استحييت واحتشمت، وكذلك اتَّأبت من الشىء . وأوأبت الرجلَ أحشمتُه .

ويقال لطعام الفَجْأة : طعام ذو تُوَبَة، أى ذو حشمة . ويقال : لقيت منه الذَّرَبِينَ والذَّرَبيّا، والأَقْوَرِينَ والأقْوَرِيّات . ولقيت منه بناتِ بَرْحٍ، وبنى بَرْحٍ، وبناتِ

---

(١) الفصل الى آخر تفسير شعر ضمرة من النوادر ٢ — ٤، ومثله فى الأضداد لأبى حاتم رقم ١٤٣ ص ١٠٣ ولابن الأنبارى (ليدن) ٣٩، والقالى ٢ : ٢٨٤، ٢٧٩، والسمط ٩٢٢

(٢) كذا، والرواية : «تلغى» بالغين (ويروى : تمحى) .

(٣) المظان المذكورة، والسمط ٦٣١ و ٦٦١، والوحشيات ٢٠٨، ولباب الآداب ١٢٥، وطبقات السيرافى ٥٧

(٤) بسل : حرام .

[(٥) صر الناقه إذا شدّ عليها الصرار، وهو خيط يشدّ فوق أخلافها لئلا يرضعها ولدها] .

[(٦) كذا : والفعل منه وأب يئب وأبا وإبة كوعد يعد وعدا وعدة، أى استحيا وانقبض، وأوأبه وأتأبه إذا رده بخزى وعار، والإبة : العار وما يستحيا منه] .

بِئْس (١)، وبنى بِئْس، وبنات أَوْدَكَ، ولقيت منه الأَمَرَّين، ولقيت منه بنات طَبَق، يعنى الداهية، وأُمّ الزُّبَيْق على وُرَيْق وعلى أُرَيْق (٢)، وأنشد :

إنى رأيت العَنْزَ يمنع رَبُّها ... من أن يُضيح (٣) جارَها بالسِّنْيِس

وهى الداهية. والقناذِع (٤) : الدواهى، وأنشد :

ومن لا يورِّعْ نفسَه تَتْبع الخنا ... ومن يتبع الجرباء يَغْش القناذعا

ولقيت منه الزَّبير (٥)، وهى الداهية، وأنشد :

* فلاقَوْا من آل الزُّبَيْرِ الزَّبِيرَا *

وأنشد (٦) :

إذا تمطّين على القياقى ... لاقَيْنَ منها أُذُنَىْ عَناقِ

والقياقى : واحدها قِيقاءة، وهو ما ارتفع من الأرض. وأُذُنَى عَناق، يريد شرًّا وداهية. ولقيت منه الدقارير، واحدتها دِقرارة. ولقيت منه صِلًّا من الأصلال، وصِمَّةً من الصِّمَم، يريد الداهية. ويقال للداهية حُوَّل قُلَّب. ومما تمثّل (٧) به معاوية عند موته :

الحُوَّل القُلَّب الأريبُ وهل ... يدفع صرفَ المنيةِ الحِيَلُ (٦٣)

والدُّرَخْمِين الداهية.

(١) الأصل : «بنس»، والإصلاح من ل (ودك).

[(٢) قال الأصمعى : تزعم العرب أن رجلا رأى الغول على جمل أورق فقال : جاءنا بأم الربيق على أريق؛ أى بالداهية العظيمة الكبيرة. وأم الربيق تصغير (ربق) : الداهية. وريق : تصغير ترخيم لأورق، وقد تبدل الواو همزة. والأورق من الإبل : الذى فى لونه بياض إلى غبرة كالرماد].

(٣) لم أعرفه بهذا المعنى، والأصل : يصيح، ويضيح من الضيح : اللبن الرقيق الكثير الماء.

(٤) بالزاى أيضا كما فى ل.

(٥) صدره : * وقد جرب الناس آل الزبير *

وأصل الزبير الحمأة — التصحيف ٤٠، ول.

(٦) ل (عنق)، وتهذيب الإصلاح ٢ : ٤٤. والقياقى : جمع قيقاءة؛ الأرض الغليظة.

(٧) أحد بيتين فى حماسة البحترى ١٤٨

وحدّثنى التّوزىّ قال : سألت الأصمعىّ عن الدِّرَفْس والدِّرَفْسة فقال : هو الجَمَل الشديد ، وأنشد للعجّاج[1] :

كم قد حَسَرْنا من عَلاة عَنْسِ كَبْداءَ كالقوس وأخرى جَلْسِ
* دِرَفْسةٍ أو بازل دِرَفْسِ *

وكان الأصمعىّ لا يعرف الدِّرَفس فى بيت عبيد الله بن قيس الرقيّات وهو يمدح عبد العزيز بن مروان[2] :

تُكِنُّهُ خرقةُ الدِّرَفسِ من الشَّمْس كليثٍ يُفَرِّج الأَجَما

فقال : الدِّرَفْس البعير ، وماله هاهنا موضع ، ولو كان إلىّ لقلتُ : « تُكِنّه خرقة الدِّمَقْس » ، يعنى الحرير .

وقال أبو العبّاس : وإنّما الدِرفس اسم لواء للعجم حملوه يوم القادسيّة لرُسْتم يقال له بالعجميّة « دِرَفْش كابيانْ »[3] ، فأعربه عبد الله بن قيس فقال : الدّرفس .

وحدّثنى التوزىّ قال : صحّف الأصمعىّ[4] فى بيت الحطيئة مرّة فلم نسمع تصحيفا أحسن منه ، وهو :

أغررتَنى وزعمتَ أنّك لا تَنِى بالضَّيْف تَأْمُرْ

أى لا تنى تأمُرُ بالضيف ، تأمر بإكرامه وحُسن قِراه ، والشعر :

أغررتَنى وزعمتَ أنّك لابن بالصّيف تامِرْ

(١) (ل) (درفس) ، مطلع أرجوزة فى ٧٩ شطرا فى بدء مشارف الأقاويز .

(٢) (د) ٢٥٨ ول ، وت (درفس) .

(٣) وهى بالفارسية الحية : « درفش (بضم ففتح فسكون) كاويان (بالواو) » ، منسوبة إلى كاوه الحداد (آهنكر) ، تبركوا برقعة الجلد الذى كان يجلس عليه ، فقدموها أمامهم فى الحروب .

(٤) خبر التصحيفة فى تصحيف العسكرى ٥٥ ، والمزهر (الثانية) ٢ : ٢٢٣ و ٢٣٠

أى كثير اللبن والتمر . ويقال : شاةٌ لَبِنة وغنم لِبان ولِبْن ولُبْن . ويقال : كم لُبْنُ غنمك ؟ وكم رِسْلها؟ قال : إنه إنما قيل : كم لُبْن غنمك ، أى كم فيها مما يُحْلَب ، وفلان لابِنٌ وتامِرٌ إذا كان ذا لبن وتمر ، وتَمَرْتُ القوم ولَبَنْتُهم ألْبِنُهم لَبْنا وقد ألبن الرجل : كثر لبنه ، وتَمَرْته فأنا أتْمُره.[1] ولم نقصد فيما نذكره فى هذا الفصل طعنا على الأصمعىّ ، ولا دفعا لعلمه ، وكذلك غيره ، ولكنّ الشىء يُذكَر بالشىء ، والحديث يجرّ الحديث . (٦٨)

حدثنى التّوزىّ عن أبى عبيدة قال أنشدنى المفضَّل :

وإذا ألمّ خيالُها طُرِقَتْ[2] عينى فماء شؤونها سَجِمُ

وإنما هى « طُرِفَتْ » ، فصحّف ، وهى للمخبَّل السعدىّ .

وقال الأصمعىّ[3] : هى لطرفة ، وأولها :

* ذَكَرَ الرَّبابَ وذكرُها سُقْمُ *

وأخبرنى التّوزىّ عن أبى عبيدة أن المفضَّل أنشد بيتَ أوس بن حجر[4] :

وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَواشرُها تُصْمِتُ بالماء تَوْلباً جَدَعا

وإنما هو جَدِعا . والجدع السّيِّئ الغذاء ، ويقال جَدَعْتُه وأجدعتُه : أسأتُ غِذاءَه . ويقال للسيّئ الغذاء الجَحِن[5] والقَتِين ، ويقال للّذى قد أُحسِن غِذاؤه

---

(١) أطعمته التمر . (٢) الكلمة مفضلية برقم ٢١ ، والغفران ٤١ ، وخبر التصحيفة فى التصحيف ٧٧ ، والمزهر ٢ : ٢٣٢ . (٣) الأصل : « فقال » .

(٤) التصحيف ٧٦ ، المزهر ٢ : ٢٢٨ ، ل (جدع) ، الحيوان ٤ : ٨ . وراجع مظان الكلمة فى ذيل اللآلى ١٩ (٥) بتقديم الجيم ، وتفرد ابن برّىّ بتأخيرها أيضا [وجحن الصبى (كفرح) : ساء غذاؤه فهو جحن ، وأجحنته أمه . والقتين : الغلام أو الجارية لا طعم لهما ، والرجل الحقير الضئيل قليل الطعم واللحم ، وكذلك القنيت] .

مُسَرْهَف ومُعَذْلَج ومُخَرْفَج [١] ، والتَّوْلَب : الصغير [٢] . والأَهدام : خُلقان الثياب .

وحدّثنى التوّزىّ قال : أنشد المفضّل قول اليشكرىّ [٣] :

وكنتُ زُمَيْنا جارَ بيتٍ وصاحبا ۝ ولكنّ قيسا فى مسامعه صَمَمْ

وأخبرنى أبو عبيدة والأصمعىّ قالا : إنما هو زَمِيتا أى قريبا .

وأخبرنى الأصمعىّ وأصحابُنا أنّ المفضّل أنشد قول البُرْجُمىّ :

أفاطمَ [٤] إنّى هـالكٌ فتبيَّنى ۝ ولا تجْزَعى كلّ النساءِ يتيمُ

وقال المفضّـل : امرأة يتيم إذا مات زوجها، وغلام يتيم مات أبوه، واليُتْم فى البهائم موتُ الأمّ. قال الأصمعى : و إنما هو : « كلّ النساء تَئيمُ » أى تصير أيِّما والأيِّم : التى لا زوج لها بكرا كانت أم ثيِّبا، والأيِّم عند العامة : الثيِّب .

وأخبرنى الشّيبانىّ قال : سألت المفضّل عن قول مُتَمّم [٥] بنِ نُوَيرة : (٦٩)

لَعَمرى وما دهرى [٦] بتأبين هالكٍ ۝ ولا جَزَعٍ ممّـا أصاب فأوجعـا

ما التأبين؟ قال : لا أدرى . والتأبين : نُدبة الميّت، وقال أبو زيد : أبّنتُ الميّت تأبينا إذا بكيته بعد موته .

[(١) يقال سرهف فلان الصبىّ إذا أحسن غذاءه ونعمته ، وعذلج ولده كذلك . والمرفجة : حسن الغذاء فى السعة] . [(٢) التولب فى الأصل : ولد الأتان من الوحش ، أو هو الجحش إذا استكمل الحول ، واستعير فى بيت أوس لطفل المرأة لسوء حاله . والنواشر : عروق ظاهر الكف . وتصمت : تسكت] . (٣) تحته : « الشيبانى » . وزميت : قريب ، لا يعرف ، والذى فى المعاجم : ساكن وقور . (٤) التصحيف ٤٣ ، ٧٨ ، ٨٣ ، المزهر ٢ : ٢٢٩ . (٥) الكلمة مفضلية ، وانظر السمط ٨٧ . [(٦) الدهر : الهمة والإرادة والغاية ، تقول : ما دهرى كذا : وما دهرى بكذا ، أى همى وغايتى وإرادتى . والدهر أيضا : العادة الباقية مدّة الحياة] .

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : ناظرنى المفضّل عند عيسى بن جعفر فأخطأ أو صحّف ، فجعل يصيح ويَشْغَب ، فقلت له : أَصِبْ ، وليكن كلامُك كلامَ التَّمَلُّ ، لو صحْتَ إلى النشور ما نفعك .

وحدّثنى التَّوَّزىّ قال : شهدتُ الأصمعىّ فقرأ عليه رجل : ما فى بعيرى هاتَّةٌ لحَوْزها له ، ومضى الرجل ، فرددتُ على الرجل فقلت : إنما هى هانّة (١) ، والهانّة الشَّحْم ، فسكت الأصمعى وما أجابنى بحرف .

قال : وشهدتُّه أيضا — وقرأ عليه رجل : ما سمعنا العام قابّةً — قال الأصمعىّ : يريد صوت الرعد ، من القبيب (٢) ، فقلت له : إنما قابّة قطرة من المطر ، يقال : ما سمعنا العام قابّة ، أى قطرة مطر — وكان كيسان (٣) ، وابن أبى يحيى الغنوىّ حاضرين فوافقانى — فسكت الأصمعىّ .

وحدّثنى عن أبى عمرو الشَّيبانىّ قال : كنا بالرَّقّة فأنشد الأصمعىّ :

عَنَنًا (٤) باطلا وظلمـا كما تُعْـ ... ـتَرُ (٥) عن حَجْرة الرَّبِيض الظِّباءُ

(١) بتشديد النون .

[(٢) القبيب : الصوت ، وقب القوم : صخبوا فى الخصومة أو التمارى ، وقب الفحل قبا وقبيبا إذا سمعت قعقعة أنيابه ، وقب نابه : صوّت وقعقع] .

(٣) وافقه ابن السكيت كما فى ل ، والألفاظ ٤٩٢ .

[(٤) ويروى : «عنتا» . والعنن : الاعتراض . والعنت : الإثم والغلط والجور والأذى ودخول المشقة الشديدة على الإنسان . وعتر الشاة والظبية ونحوهما يعترها عترا ذبحها ، فهى عتيرة وعتر . وهى شاة كانوا يذبحونها فى رجب لآلهتهم ، ويصب دمها على رأسها . والحجرة : الناحية . والربيض : الغنم برعاتها المجتمعة فى مربضها . وربضت الشاة والدابة تربض ربضا وربوضا ، وهو كالبروك للإبل . وبيت الحارث من معلقته . يذكر فيه قوما آخذوهم بذنب غيرهم ، و ؛ الرجل كان يقول فى الجاهلية : إن بلغت إبلى مائة عترت منها عتيرة ، فإذا بلغت مائة ضن بالغنم وهى الربيض ، فصاد ظبيا فذبحه . يقول الحارث : فهذا الذى تسألوننا اعتراض وباطل وظلم كما يعتر الظبى عن ربيض الغنم ، أى أخذتمونا بذنب غيرنا كما أخذت الظباء مكان الغنم] .

(٥) الأصل : «تعتر» مصحفا ؛ وجعل الأصمعى تعتز : تنحرى تضرب بالعنزة . والخبر فى التصحيف ٥٠٤ ، المزهر ٢ : ٢٢٥ ، ولمعنى العتيرة الحيوان أيضا ١ : ٩ .

فقأت له : «تُعْتَرُ» من العَتيرة . والشعر للحارث بن حِلِّزة، وأصل ذلك أن العرب كانوا إذا بلغت إبل الرجل ألفا فقئوا عينَ الفحل لتُدفَع العين عنها ، فهو المفقَأ يافتى، و إذا زادت على الألف فقئوا العينَ الأخرى ، فهو المعمّى . وفى ذلك يقول قائلهم [1] :

* فقأتُ لها عين الفحيل تَعيُّفا [2] *

ومن نذورهم : إذا بلغت إبلى كذا ذبحتُ كذا وكذا شاةً ، ثم يقولون الظباء شاءٌ ، فيذبحون مكان الشاة ظبية مما يصيدون ، و يسمّونها العتيرَة ، وحقّ ذلك أن يكون [٧٠]
فى رجب ، فذلك قول الحارث بن حِلِّزة : « عَنَنا باطلًا ... » البيت .

باب

نذكره من باب إحالتهم بالذّنْب على غير المُذْنِب [3] . فمن ذلك أنهم كانوا إذا امتنعت البقرُ من ورود الماء ضربوا الثورَ حتى يَرِد وتَرِدَ بوُروده ، ففى ذلك يقول أنس بن مُدْرِك الخَثْعمىّ [4] :

إنِّى وقتْلى سُلَيْكا ثم أعقِلَه ... كالثورِ يُضرَبُ لمّا عافت البَقَرُ

---

(١) البيان ٣ : ٢ ، وبجزه :

* وفيهن رعلاء المسامع والحامى *

رعلاء : طويلة . الحامى : الجمل المتروك [الذى حمى ظهره فترك لا ينتفع منه بشىء، ولا يمنع من ماء ولا مرعى لأنه استوفى الضراب المعدود (قيل عشرة أبطن) فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حام . وقال الفراء : إذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره ولا يجزله و برولا يمنع من مرعى . وأنشد ابن أبى الحديد (٤ : ٤٣٥) فى المعنى :

أعطيتها ألفا ولم تبخل بها ... ففقأت عين فحيلها معتافا

(٢) الفحيل : فحل الإبل إذا كان كريما منجبا] .   (٣) ابن أبى الحديد ٤ : ٤٣٤ .

(٤) غ ١٨ : ١٣٨ ، العينى ٤ : ٣٩٩ ، التبريزى ٢ : ١٩٣ ، الحيوان ١ : ٩ .

وقال عوف بنُ عطيّة بنِ الخَرِع (١) :

تمنّت طيّء جهـلا وجُبنـا ... وقـد خاليتُهمْ فأَبَوْا خِلائى (٢)

هَجَوْنى أن هجرتُ جبالَ سَلْمَى ... كضرب الثّـوْر للبقـر الظِّماءِ

ويدخل فى هذا الباب قصة صُحْر (٣) التى يُضربُ بها المَثَل ، وهى صُحُرُ بنتُ لقمانَ بن عاد ، وكان لقمان تزوّج عدّة نساء كلّهن قد خانتْه فى نفسـه ، فقَتَلَهنّ ، فلما قتـل أُخراهن ونزل من الجبل كانت صُحْرُ ابنَتُهُ أوّلَ من لقيه ، فقتلَها ، وقال : وأنت أيضا امرأة ، فضُرِب بها المثَل ؛ قال خُفاف بن نَدْبة (٤) :

وعبّـاسٌ يُدبّ لىَ المنـايا ... وما أذنبتُ إلّا ذنْبَ صُحْـرِ

وقال عروة بن أذينة (٥) :

أتجعَـل تهياما بليلى إذا نأت ... وهجرا لها ظُلما كما ظُلِمت صُحُرُ

قد ذكرنا من هذا الباب صَدْرا نخاف على قارئه الملال إن أطلناه ، ونحذر من ضَجَر يلحقه إن أسهبْنا فيه ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق . ونعود إلى الأخبار ، والأشعار يشبه بعضها بعضا ، وبالله التوفيق .

باب الحِلم والأَناة

يروى أن معاوية بن أبى سـفيان كان أكثر النـاس حِلما ، وأوسَعَهم عفوا ، وأشدّهم إغضاءً عمّن نابذه ، وأحسنَهم احتمالا لمن ناوأه وعانده . (٧١)

(١) الحيوان ١ : ٩ (٢) خاليتهم : تاركتهم . وسلمى : أحد جبلى طيء (وهما أجأ وسلمى وهو جبل وعر) . (٣) تصرف وتمنع ، والمثل فى العسكرى ١٩١ ، م : ٢١٥ ، والميدانى ٢ : ١٨١ ، ١٤٤ ، ١٩٤ مع بيت خفاف ، وأمثال الضبى (الجوائب) ٧٠ ، والثمار ، والحيوان ١ : ١١

(٤) الحيوان ١ : ١١ (٥) الحيوان أيضا ١ : ١١

فمن ذلك أن رجلا أغاظ له فى الكلام، فقيل له : يا أمير المؤمنين، أتحلم عن هـذا وقد قال ما قال ؟ قال معاوية : ما كنت لأحول بين الناس و بين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا و بين مُلكنا .

و يروى أن أبا الجهم[(١)] الأموى[(٢)] قال: لقد بِتُّ ليلة بأسرها قلقا أفكّر فى حلم معاوية فيذهب عنى وَسَنى، قال : وغدوت عليه وأنا مُجْمِع لقاءه بمـا أرجو أن يطيّشه، فدخلت عليه، وقد كان عنده رجل أغضبه بأشياءَ لقيه بها، فقلت فى نفسى: ظفرت به؛ فسلّمتُ عليه، فردّ علىّ جوابا ضعيفا، فقلت: يابن هند، أبلغ بك الأمر الى أن أسلّم عليك فتردّ علىّ بمثل هذا الردّ ! والله لقد رأيت أمّك وهى شابة ناهد، وأنا إذ ذاك أطاب الفجور، فعرضتُ على نفسَها فأبَيتُها؛ فقال: يا أبا الجهم، أما إنك لو نكحتَها لنكحت حَصانا كريمة، ولكنت أهلا لها. قال أبو الجهم: فوقعتُ على رجليه أقبلهما، وأقول:

نقلّبـــه لنَـخْبُرَ حالتيـه ... فيكشِف عنهما كرما ولينا
نميـل على جوانبــه كأنّا ... نميـل إذا نميل على أبينـا

فقام معاوية فدخل إلى حُجرة له فدعا بأبى الجهم فقال له : يا أبا الجهم، إيّاك وإغضابَ المـلوك، فإن لهم غضبا كغضب الصبيان، و بطشا كبطش الأُسد. يا غلام، أعطه ثلاثين ألف درهم، وليحملها معه ثلاثة من العبيد، فخرج من بين يديه ومعه تلك الصِّلة .

---

(١) الخبر والبيتان — وهما له أو لعبد المسيح — مع المظان فى السمط ٥٣٩ — ٥٤٢، والقالى ١ : ٢٤١، ٢٣٦ .

(٢) [كذا بالأصل، ولعله محرف عن (العدوى) فأبو الجهم واسمه عامر، وقيل عمير، وقيل عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب كان من مشيخة قريش، عالما بالنسب معظما فى قريش مقدّما فيهم، وكان فيه وفى بنيه شدّة وعرامة. أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من المعمرين من قريش. توفى فى أيام ابن الزبير، وقيل فى أيام معاوية. (ملخص من أسد الغابة)] .

ويروى أنه كان يقول: إذا لم يكن المَلِك حليما استفزّه الشيء اليسير الذى يندم عليه، وإذا لم يكن شجاعًا لم يَخَفه عدوّه، وإذا كان شحيحا لم يكن له خاصة ولا مُناصح، وإذا لم يكن صَدوقا لم يُطْمَع فى رأيه. (٧٣)

وحدثنى العتبىّ قال: قيل لمعاوية: ما النُّبل؟ قال: مؤاخاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء، فقيل له: ما المروءة؟ قال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القُدرة.

ويروى أنه لما ورد عليه خبر علىّ بن أبى طالب، صلوات الله عليه صعد المنبر فقال: الحمد لله الذى أدالنا من عدوّنا، وردّ إلينا من زماننا، فقام إليه رجل من أهل الشام، فقال: ما ذاك من كرامتك على الله يا معاوية، فقال له عمرو بن العاص: اسكت يا جاهل، فوالله لأنت أنذل أهل الشام وأقطعهم عن الكلام، فتمثّل معاوية:

إنى أرى الحلم محمودا مغبّته ... والجهل أفنى من الأقوام أقواما

ونظر يوما إلى يزيد ابنه يضرب غلاما له، فقال: يا يزيد، أتضرب من لا يمتنع منك! والله لقد حالت القدرة بينى وبين أولى التِّرات.

ويروى من ناحية زبير قال: حدّثنى مبارك الطبرى قال: سمعت أبا عبيد الله[١] يقول: سمعت المنصور يقول للمهدىّ: يا أبا عبد الله، الخليفة لا يُصلحه إلّا التقوى، والسلطان لا يُصلحه إلّا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلّا العدل، وأولَى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا مَن[٢] ظلم من هو دونه، وأنشد:

وأحلام عاد[٣] لا يخاف جليسهم ... إذا نَطق العوراءَ[٤] غربُ لسان

إذا حُدِّثوا لم يُخْشَ سوءُ استماعهم ... وإن حَدّثوا أدّوْا بحُسْنِ بيان

[(١) أبو عبيد الله: هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرىّ مولاهم كاتب المهدىّ ووزيره. اتصل به فى أيام أبيه المنصور. ثم اتضعت منزلته عند المهدىّ حتى توفى سنة ١٧٠، وكان من خيار الوزراء]. (٢) فى الأصل: «ممن هو دونه». (٣) أوّلها فى الثمار، والمثل فيه ٦١، وفى البيان ٢: ١٣٩، والعسكرى ١٠٦، ١: ٢٧١ ظنوا أن أحلام عاد كأجسامها. وهما فى البصرية، وفيها: «وإن نطق العوراء». [(٤) العوراء: الكلمة القبيحة تهوى فى غير عقل ولا رشد. وغرب اللسان: حدّته].

وقال عمر بنُ عبد العزيز: ثلاث من كُنّ فيه فقد كَمَل: من إذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحقّ، وإذا رضى لم يُدخلْه رضاه فى الباطل، وإذا قدر عفا وكفّ.

(٧٣) ويروى أن وفودا دخلت عليه، فتحفّز فتًى منهم للكلام، فقال عمر: كبّروا، أى ليتكلّم أكبركم، فقال الفتى: إن قريشا ليُرَى فيها من هو أسنّ منك. فأطرق عمر ثم قال: تكلم يا فتى.

وقال الشعبىّ: ما رأيت رجلا أفهم إذا حَدّث، ولا أنصتَ إذا حُدِّث، ولا أحلم إذا خولف من عبد الملك.

وقال المدائنىّ: شتم رجل المهلّب بن أبى صفرة فلم يردد عليه، فقيل له: لِمَ حَلُمت عنه؟ قال: لم أعرف مساويه، وكرهت أن أبهته[(١)] بما ليس فيه.

وشُتم رجل فقال الرجل لشاتمه[(٢)]: يا هذا، ما سَتَر الله عليك من عورتى أكثر، وأنشد[(٣)]:

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا   حتى يُذَلّوا وإن عزّوا لأقوامِ
أو يُشْتَموا فترَى الألوانَ مُشرِقةً   لا صفحَ ذلّ ولكن صفحَ أحلامِ

وكان يقال: العقوبةُ ألأمُ حالاتِ ذوى القدرة. وقال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو أحبّ إلىّ من أن أندم على العقوبة. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أوّل ما عُوِّض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره. وأنشد الشعبىّ:

ليست الأحلام فى حال الرّضا[(٤)]   إنما الأحلام فى حال الغضبْ

[(١) بهته: قال عليه ما لم يفعل، وكذب عليه وافترى. والبهتان: الباطل الذى يتحير من بطلانه].

[(٢) فى الأصل: «وشتم لرجل فقال رجل لشاتمه»، وما أثبتناه من استظهار الأستاذ الميمنى].

(٣) لأبى عبيد الله بن زياد الحارثى، أو عبيد الله. انظر ذيل اللآلى ٢٢، وفى غرر الخصائص ٣٠٣ لإبراهيم الصولى.   (٤) العقد ١: ٢٨٨.

وقال الأخطل[١] فى بنى أميّة :

صُمٌّ عن الجهل عن قول الخنا خُرُسٌ ... وإن أَلَمّتْ بهم مكروهةٌ صبروا
شُمْسُ[٢] العداوة حتى يُسْتقادَ لهمْ ... وأعظمُ الناس أحلاما إذا قَدَروا

وقال حاتم الطائى[٣] :

تحلَّمْ عن الأدْنَيْنَ واستبقِ وُدَّهم ... فلن تستطيعَ الحلمَ حتى تَحَلّما
إذا شئتَ نازيتَ امرأَ السَّوْءِ ما نزا[٤] ... إليكَ ولاطَمتَ اللئيم المُلَطَّما

وقال محمد بن زياد الحارثى : (٧٤)

تخالُهُمُ للحِلم صُمّا عن الخنا ... وخُرْسًا عن الفحشاء عند التهاجر[٥]
ومَرْضَى إذا لاقَوْا حياء وعفّةً ... وعند الحِفاظ كاللّيوث الخَوادر
لهم ذُلّ إنصاف وأُنس تواضع ... بهمْ ولهمْ ذلّتْ رقاب المعاشر
كأنّ بهم وَصْما يخافون عاره ... وما وصمهم إلّا اتقاء المَعاير

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٦] : " إياكم ومشارّة الناس ؛ فإن المعاير تدفن الغُرّة وتُظهر العُرّة[٧] " . وأنشد :

---

(١) (د) ١٠٤ [(٢) شمس : جمع شموس ، وهو الرجل العسر فى عداوته شديد الخلاف على من عانده وعاداه] . (٣) من كلمة فى (د) ، والنوادر ١١٠ وخ ، والعينى ، والسيوطى .

[(٤) نازاه : واثبه ، ونزا ينزو : وثب يكون فى الأجسام والمعانى . والنزوان : السورة من الغضب وغيره] .

(٥) من الهجر (بالضم) ، وهو الكلام القبيح — ح فى الأصل . وهذا كلام من لم يفهم المعنى . والأبيات فى غرر الخصائص ٨٥ ، وهى فى الحماسة البصرية ليحيى بن زياد الحارثى ، والبيتان ٢ و ٤ فى مجموعة المعانى ٢٧ بلا عزو . (٦) البيان ٢ : ١١ . [(٧) المشارّة ، مفاعلة من الشر ، أى معاملة الناس بالشر فيحوجهم إلى معاملته بمثله . ويروى : «مشاراة» أى ملاحاة وعاراة . والغرّة : أنفس شىء يملك ، والعرّة والمعرّة : الأمر القبيح] .

وإنى لَيَثْنِينى عن الجهل والخنا[1] ... وعن شَتْم ذى القربى خلائقُ أربعُ
حياءٌ وإيمانٌ ودينٌ وأنّنى ... حَليمٌ ومثلى لا يَضُرّ وينفع

وقال رجلٌ من بنى حنيفة يرثى أخاه[2] :

لقد وارى المقابرُ من شريك ... كثيرَ تكرُّم وقليلَ عابِ
به كنّا نصولُ على الأعادى ... ونَنْقُضُ مِرَّةَ[3] القومِ الغِضابِ
صَموت فى المجالس غيرِ عِيّ ... جديرٍ حين ينطق بالصواب
كثير الحِلْمِ لا طَبِعٌ عَيِيّ ... ولا فحّاشة نَزِق السِّبابِ[4]

قوله : «صموت فى المجالس غير عِيّ» ، نظير قول ابن كُناسة[5] فى إبراهيم بن أدهم الغنوىّ :

رأيتك لا يُغنيك ما دونه الغنى ... وقد كان يَغْنَى دون ذالك ابن أدهما

---

(١) لمحمد بن حازم الباهلى ، لباب الآداب ٢٨٦ ، أو لأبى الأسود غ الدار ١ : ١٤٨ ، وهى لابن حازم فى البصرية . والثالث :

فشتان ما بينى وبينك إننى ... على كل حال أستقيم وتظلع

وللفرزدق أبيات تشبهها ، شرح بشار ١٩٧

(٢) يقال له محرز بن علقمة ، وهى ٦ أبيات فى مقطعات مراث عن ابن الأعرابى ١١٠ ، وبيتان له فى البيان ١ : ٣ و ٢ : ١٣٨ .

[(٣) أصل المرة إحكام فتل الحبل . وكل طاقة من طاقات الحبل وكل قوة من قواته مرة] .

[(٤) الطبع ، بفتحتين : الشين والعيب فى دين أو دنيا . ونزق : طاش وخف عند الغضب . وقيل : النزق خفة فى كل أمر ، وعجلة فى جهل وحمق] .

(٥) محمد . وابن أدهم هو العابد المعروف . وفى غ ١٢ : ٦٠ : ١٠ : « رأهان الجوى » ، وفى ص ١٠٧ : « أمات » وهى ٧ أبيات . [ومحمد بن كناسة (واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى) من أسد بن خزيمة ، شاعر من شعراء صدر الدولة العباسية ، كوفى المولد والمنشأ . وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله . فقدم الكوفة فوجهت إليه أمه بهدية معه فقبلها ووهب له ثوبا ، ثم مات إبراهيم ابن أدهم سنة ١٦١ فرثاه ابن كناسة بهذه الأبيات] .

يُشَيِّع الغِنَى إن نالَه وكأنَّما ... يلاقي به البأساء عيسَى بنُ مريما
أخافَ الهوى حتى تجنَّبه الهوى ... كما اجتنبَ الجاني الدمَ الطالبَ الدما
وأكثر ما تَلقاهُ في القوم صامتا ... وإن قال بَذَّ القائلين فأفحَما

وقال آخر(1):

إني ليمنعُني من ظلم ذي رَحِمٍ ... لبٌّ أصيلٌ وحِلمٌ غيرُ ذي وَصَمِ
إنْ لانَ لِنتُ وإن دبّت عقاربُه ... ملأتُ كفَّيه من عفوٍ ومن كرمِ

(٧٥) ويروى أن الأحنف كان حليما وقورا عالما فقيها، وكانت الملوك ترجع إلى رأيه وتعمل بقوله. وذكروا أن خَتَنًا(2) له أراد أن يستفز حلمه فقال: ملأتُنا ابنتُك البارحة من دمائها؛ فقال: نعم إنها من نسوة يَخْبأن ذلك لأزواجهنّ؛ فقال: إني حملتُ على نفسي البارحة في جماعها؛ فقال: ما زوجناك إلّا لذلك(3). وكان يقول: ما نازعني أحدٌ إلا أخذتُ عليه بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفتُ له قدرَه، وإن كان دوني رفعتُ نفسي عنه، وإن كان مِثْلي تفضّلت عليه(4). ويروى أن معاوية قال له: يا أحنف، أأنت صاحبُنا يوم صِفّين، والمخذول(5) عن أمير المؤمنين؟ فقال الأحنف: والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها يومئذ لَفِي صدورنا، وإنّ سيوفَنا التي قاتلناك بها لَعَلى عواتقنا، ولئن دنوتَ إلينا شبرا من خير لندنونّ إليك ذراعا من عُذْرٍ(6)، ولئن شئتَ ليَصفوَنّ لك وُدُّنا بفضل حلمك عنّا. قال: قد شئتُ. وروى زبير عن رجاله قال: دخلتُ(7) على معاوية مَوْجِدةً على يزيد، فأرِقَ

---

(1) الصداقة ١٠٩، الذخائر والأعلاق ١٤٠، وفي لباب الآداب ٣٨١ للأسيدي.

(2) الأصل: «خشالة».

[(3) نسب هذا القول في غرر الخصائص الواضحة إلى أسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزاري].

(4) شرح الزيدونية (١٢٩٠ ﻫ) ص ٥٧.

(5) الأصل: «والمخذل».

(6) الأصل: «غدر» بفتحتين مشكولا.

(7) رواه الحصري ٣ : ٦١

لذلك ليلته ، فلمّا أصبح بعث إلى الأحنف فقال له : كيف رضاك عن ولدك ؟ — أو ما تقول فى الولد ؟ — قال الأحنف : فقلتُ فى نفسى : ما سألنى أمير المؤمنين عن هذا إلا لمَوْجِدةٍ دخلته على يزيد ، فحضرنى كلام لو كنتُ روّأتُ[١] فيه سنةً كنتُ قد أجدتُ ، فقلت : يا أمير المؤمنين : هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول ونَصِل إلى كلّ حيلة ، فإن سألوك فأَعطِهم ، وإن غضبوا فأرضِهم ، يُمحِضوك ودّهم ، ويُلاطفوك جهدَهم ، ولا تكن عليهم قُفْلا لا تعطيهم إلّا نزرا فيَمَلّوا حياتَك ويكرهوا قربَك . فقال : لله درّ الأحنف ! لقد دخلتَ علىّ وإنّى لمن أشدّ الناس مَوْجِدة على يزيد ، فلقد سَلَلْتَ سَخيمةَ[٢] قلبى ، ياغلام ، اذهب إلى يزيد فقل له : إن أميرَ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد أمرنا لك بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب ، فأَرسِلْ من يقبض مالك ، فأتاه الرسول فأعلمه ، فقال : مَنْ كان عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، [فقال] : لا جرَم ! لأقاسمنّه الجائزةَ ، فوجّه برسول يأتيه بالمال ورسولٍ يأتيه بالأحنف . فقال : يا أبا بحر : كيف كان رضا أمير المؤمنين ؟ فأخبره ، فقاسمه الجائزةَ ، وأمر له بمائة ألف ومائة ثوب . (٧٦)

وحدّثنى الرياشىّ قال : دخل عَقيل بن أبى طالب على معاوية — وكان من أحضر الناس جوابا — فقال له معاوية : يا عَقيل[٣] ، ما حالُ عمّك أبى لَهَب ؟ وأين مكانُه من النار ؟ فقال : إذا أنتَ دخلتَها فخُذْ على يسارك ، فستجده مفترشا عمّتَك حَمّالةَ الحطَب ، فاطرق معاوية .

[(١) روّأت : نظرت فيه وتعقبته ولم أعجل بجواب] . [(٢) السخيمة : الحقد والضغينة والموجدة فى النفس . ومن كلام الأحنف : تهادوا تذهب الإحن والسخائم] .

(٣) الأصل : « يزيد » .

ويروى أنه قال [له] يوما : أيّما خير لك : أنا أم علىّ ؟ فقال : ذاك خيرٌ لدينى، وأنت خيرٌ لدنياى . وكان يُسبِغ جائزتَه إذا وفد عليه .

وحدّثنى الزيادىّ قال : لما بنى معاوية الْخُضَيْراء دخل إليها ومعه عَمرو بن العاص، فأخذ يفتح بابا بابا ، و يقول : هـذا آتخذناه لكذا ، وهذا بنيناه لكذا ، فرأى فى بعض الأبنية غلاما يَفْجُر بجارية من جواريه ، فقال : وهـذا اتخذناه ليَفجُر فيه غلمانُنا بجوارينا ، وحَلُم عن الغلام والجارية ولم يعاقبهما . (٧٧)

ويروى أن كسرى أنو شروان لما قتل بُزُرْجمهر بعث إلى ابنته، فلما بعث إليها غطّت رأسها ، فقالت : هيبتى لك فى وفاته، كهيبتى لك فى حياته ، وكذا كنتُ أفعل ؛ فقال : أُخطُبوها لى ، فقالت : أُنظروا إلى مَلِك يقتل وزيرا لا يجد له عوضا، و يصيِّر بينه وبين فِراشه موتورةً(١) بأبيها ! فدعا بجوهر فحشا [به] فاها .

ويروى أنّ رجلا قال للرشيد : إنى أريد أن أعِظك وأُغلِظَ لك فى القول، فقال الرشيد : يا هـذا ليس ذاك لك ، قد بعث اللهُ من هو خيرٌ منك إلى من هو شرّ منى، فأمره أن يقول له قولًا لينا .

باب الشكر للصنائع

يُرْوى من غير وجه سمعنا أن علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : لا يُزَهِّدنّك فى المعروف مَنْ لا يشكرك عليه ، فقد شكرك عليه مَنْ لم يستمتع منك بشىء، وقد يُدرَك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع منه الكافر . وكان من دعائه : الحمد لله أحمده معترفا بالتقصير فى شكره ، وأستغفره طامعا فى عفوه ، وأتوكّل عليه فاقةً إلى كفايته . وكان يقول : لا تكوننّ كمن يَعجِز عن شكر ما أوتى، و يطلب

---

(١) الأصل : « موثورة » .

المزيد ، يأمر الناس بما لا يأتى ، يحبّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، و يكره المسيئين وهو منهم ، يكرَه الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يَدَعها فى حياته . وجاء فى الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل ليَحمد العبد إذا قال (٧٨) الحمد لله " ؛ فلذلك قال محمود الوراق[1] فى هذا المعنى :

إذا كان شكرى نعمةَ الله نعمةً ... علىّ له فى مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلّا بفضله ... و إن طالت الأيام واتّصل العمرُ
إذا مُسّ بالسرّاء عَمّ سرورُها ... و إن مُسّ بالضراء أعقبها الأجرُ
وما منهما إلّا له فيه نعمةٌ ... تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر

فهذا معنى لطيف ؛ يعنى أن الله عزّ وجلّ لا يُحمد إلّا بتوفيق يجب أن يحمد على توفيقه ، ثم وجب فى الحمد الثانى ما وجب فى الحمد الأوّل ، ثم إلى ما لا نهاية له .

و يروى فى الخبر أن داود عليه السلام قال : إلهى كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلّا بنعمتك ! فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : أن يا داود ، ألست تعلم أن الّذى بك من النِعَم هو منّى ! قال : بلى يا ربّ ، قال : فأنى أرضى بذلك منك شكرا .

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد[2] ... لِعِـزّةِ مجْـدٍ أو علوّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروا لى أيها الثقلان

وكان يقال : كثرة الامتنان من النعم تهدم الصنيعة وتكدّر المعروف . وكان يقال : مِن كفر النعمة كتمانها من المنعَم عليه ، ومن تكديرها إظهارها من المنعِم . فعلى المنعِم أن لا يمتنّ ، وعلى المنعَم عليه أن لا يكفُر ، وأنشد[3] :

(١) الحصرى ١ : ٨٩ ، الصناعتان ١٧٠ ، أحسن ما سمعت ١٦ (٢) لمحمود الوراق ، أو كلثوم العتابى ، وخرجناهما فى ذيل اللآلى ١٠١ وهما عند الراغب ١ : ٢٣٨ ، وفى الإعجاز ١٧٩ ، وأحسن ما سمعت ١٩ (٣) للخريمى ؛ العيون ٣ : ١٦٠ ، ١٧٧ ، الموشى ٢٩ ، ولباب الآداب ٢٥٧ والرساطة ٢٦ ، وفيها : «مشهور كبير» ، وأصلنا : «كثير» كفور الخصائص ٢١٠

زاد معروفك عندى عِظمًا ... أنّه عندك مستورٌ حقيرْ
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الله مشكور كبيرْ

وقال آخر[1] :

لأشكرنّك معروفا هَمَمْت به ... إنّ آهتمامك بالمعروف معروف (٧٩)
ولا أ لومك إن لم يُمضه قَدَر ... فالشيء بالقدر المجلوب مصروف

وكان معاوية يقول : من همّ بالمعروف ثم عجز عنه فقد وجب شكره ، ويروى عن سليمان التّيمى[2] أنه قال : إن الله أنعم على العباد بقدر قدْرته ، وكلّفهم من الشكر بقدر طاقتهم . وشكر أعرابىّ رجلا أَوْلاه جميلا فقال له : لا آبتلاك الله ببلاء يَعجز عنه صبرك ، وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : قيّدوا النِّعَم بالشكر ، والعلم بالكتابة . وقالت هند بنة المهلّب : اغتنموا شكر النعمة قبل زوالها . وقال محمود الورّاق[3] :

أعارك ماله لتقومَ فيه ... بطاعته وتقضىَ فَضْلَ حَقّهْ
فلم تشكره نعمتَه ولكن ... قَوِيتَ على معاصيه برزقه
تجاهره بها عَوْدا و بدءًا ... وتَستخفِى بها من شرّ خَلْقِه

(١) محاضرات الراغب (الأولى) ١ : ٢٣٣ « بالقدر المحتوم » ، كالنويرى ٣ : ٢٥١ وعزاهما كمجموعة المعانى ٩٧ إلى الباهلى وهو محمد بن حازم ، وهما فى كلمات مختارة ٣٤ لعبد الأعلى فى خبر ، وبلا عزو الروضة ٢٤٥ ، والعيون ٣ : ١٦٥ ، والعمدة ٢ : ١٢٧ .

[(٢) سليمان بن بلال التيمىّ مولاهم ، أبو محمد المدنى أحد العلماء الثقات توفى سنة ١٧٧ . روى عنه ابنه أيوب أبو يحيي المدنى ، وكان كذلك ثقة فاضلا ، توفى سنة ٢٢٤ . (خلاصة تذهيب الكمال] .

(٣) الكامل ٣١٠ .

وقال بعض الظرفاء[١] :

وزهّدنى فى كلّ خير فعلته ... إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكر

إذا أنت لم تنظر لنفسك حظّها ... أحاطت بك الأشياءُ من حيث لا تدرى

وكان الناس يحبّون أن يُحمدوا على ما أولَوْا، وأن يُظهروا الشكر لهم على ما قدّموا ، وأن يكون ذلك فى غير وجوههم . ويروى أن أعرابيّا دخل على هشام بن عبدالملك فأثنى عليه، فقال : إنا لا نحب أن نُمدح فى وجوهنا، قال : لست أمدحك، ولكنى أحمد الله فيك، وأنشد :

شكرى كفعلك[٢] فانظر فى عواقبه ... تعرفْ بفضلك ما عندى من الشُّكرِ

(٨٠) وقال آخر[٣] :

فلو كان للشكر شخص يَبين ... إذا ما تأمّله الناظرُ

لمثّلتُه لك حتى تراه ... فتعلمَ أنّى امرؤ شاكرُ

وقال آخر :

كنتُ أُثنى على معاوية الأو ... سىّ قبل العطاء خيرَ الثناء

فأرانى بعد البلاء تناهيـ ... ـتُ وخير الثناء بعد البلاء

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قال لى جبرائيل عليه السلام : من أسديتَ إليه معروفا فكافأ فذاك ، ومن عجز عن ذلك فأثنى فقد كافأ "، وأنشد :

ثمن الصنيعة شكر صاحبها ... والشكر شىء ما له ثمنُ

---

(١) الأول فى العيون ٣ : ١٦٢، وهو معزوًا ليحيى بن طالب [الحنفى] فى مجموعة المعانى ٩٦

(٢) كذا مرة فعل، وأخرى فضل .

(٣) الأبيات ٣ فى العيون ٣ : ١٦١

وقال آخر [١] :

ولا يُشْتَرَى الحمدُ أُمنيَّةً ❊ ولا يُشْتَرَى الحمد بالمقْصِر
ولكنّه يُشْتَرَى غاليا ❊ فمن يُعْطِ أثمانَه يشترِ
ومن يَعْتَطِفْهُ على مِئْزَرٍ ❊ فنعم الرداءُ على مِئْزَرِ

ويروى أن عبدالله [٢] بن العباس ـ وكان من الأجواد ـ أمر لسائل سأله بعشرة آلاف درهم ، فصُبّت فى حِجْره فتخرّق ثوبه ، فبكى ، فقال له : أعلى قميصك تبكى ؟ فقال : لا والله ولكن على ما يأكل التراب منك ، فقال : شكرك أحسنُ من صنيعتنا ، يا غلام أعطه مثلها . ويروى عن [٣] بعض الحكماء أنه قال : من شكر استحقّ الإحسان ، ومن أحسن استحقّ الشكر . ولقد أحسن أبو نواس حيث يقول فى كلمة له [٤] :

أنت امرؤ طوّقتنى مننا ❊ أَوْهَتْ قُوَى شُكرى فقد ضَعُفا
لا تُسْدِينّ إلىّ عارفةً ❊ حتّى أقومَ بشكر ما سلفا

وقال آخر [٥] :

سأشكر عَمْرًا ما تراخت منيّتى ❊ أيادىَ لم تُمْنَنْ وإن هىَ جَلَّتِ
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ❊ ولا مُظهر الشكوى إذا النعل زَلَّتِ (٨١)

---

(١) أعرابى من كلاب ، أمالى الزجاجى ١٢٢ ، وفى البيان ١ : ١٢٤ ، وأنشدنى أبو الجماهر جندب ابن مدرك الهلالى : لايشترى ... الأبيات . والمقصر أى العمل الذى فرطت فيه ، وقيل كمنبر : خشبة القصار .

(٢) الأصل : « ابن أبى العباس » بإقحام « أبى » بخط دقيق . والجواد هو عبيد الله ، ومر ، وتحت العباس : (ابن أبى بكر) . (٣) الأصل : «أن» .

(٤) العيون ، ٣ : ١٦٤ ، (د) ٧١ (سنة ١٨٩٨ م) ، الشعراء ٥٢٤ ، الكامل ٢٢٨ .

(٥) عبد الله بن الزبير الأسدى ، أو محمد بن سعيد الكاتب ، أو إبراهيم الصولى ، أو عمرو بن كميل أو أبو الأسود ، وانظر السمط ١٦٦ ، و(د) إبراهيم .

رأى خَلّتى من حيث يخفَى مكانها ... فكانت قذى عينيـه حتى تجلّتِ
إذا استُقبِلت منه المودّة أقبلتْ ... وإن غُمِزت منه القناة اكفهرّت

وقال آخر[1] :

شكرْتُك إنّ الشكر منّى سجيّةٌ ... وما كلّ من أوليتَه نعمةً يقضِى
ونبّهتَ من ذكرى وما كان خاملا ... ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

وقال آخر :

جلّت أياديك عن الذكر ... لخار فى معقولها شكرى
ما تنقضى منك يدٌ ثيّبٌ ... حتى تُثنّى بيَـدٍ بِكـرِ
فالشكر فى عُرفك مستهلك ... كقطرة فى لُجّـة البحـر
لم يَعفُ معروفك عندى ولا ... يعفو إلى المَبعَث والحشر

وشكر أعرابى رجلا فقال : ذاك من شجر لا يُخْلِف ثمره ، ومن ماء لا يُخاف كَدَرُه . وشكر آخر رجلا فقال : الحمد لله على توفيقه إيّاك فى إعطائى ، وعلى توفيقه إيّاى فى مسألة مثلك ، أعاشك الله صالحا . وقال بعض الحكماء : الشكر بالغ ما بلغ أدقّ من الصنيعة كائنةً ما كانت ؛ لأن الشكر فرع من فروع الصنيعة ، ولها وعنها كان ، ولولا الصنيعة لم يكن شكر .

قـد أردنا أن نصـل كتابنا بمـا شرطناه على أنفسنا من ذكر ما ينتفع به مَن يأخذه عنّا ، ويَنْشُره من يَنْسُبه إلينا ، وقد أتينا منه بعضَ ما أردنا وقصدنا ، وكرِهنا الإطالة ، وخفنا على قارئه السآمة ، وأشفقنا أن يَبْلُغ به حدّ المجاوزة ، فإن الإكثار سَرَف[2] ، كما أن التقصير عجز . ويروى عن بعض الحكماء أنه قال : من أطال الحديث (٨٣)
عرّض أصحابه للسآمة وسوءِ الاستماع .

(١) أبو نخيلة السعدى ، والتخريج فى السمط ١٣٥ ، وانظر العيون ٣ : ١٦٥

(٢) الأصل : « سرق » .

ونحن خاتمو كتابنا هذا بباب يشتمل على فنون من الآداب، ويتضمّن بعض ما نستحسنه من الأخبار والأشعار التى يشاكل بعضها بعضا، ونضيف إلى ذلك من العِظات المُوجَزة، والأمثال السائرة، والأشعار الموزونة. وبالله الحول والقوة.

باب يشتمل على فصول

فصل فى الحسد

حدثنى التوزى قال: قال معاوية بن أبى سفيان[1]: كل إنسان أقدر أن أُرضيه إلّا حاسد نعمة فإنّه لا يرضيه إلّا زوالها. وقال عمر بن عبد العزيز: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد[2]؛ غمٌّ دائم، ونَفَس متتابع. وكان يقال: الحاسد إذا رأى نعمة بُهِت، وإذا رأى مصيبة شَمِت. وكان يقال: من علامات الحَسود أن يتملّق الرجلَ إذا حضر، ويغتابه إذا غاب، ويَشمَتَ بالمصيبة إذا نزلت. وكان يُقال[3]: ستّة لا تُخطئهم الكآبة: فقيرٌ حديثُ عهد بغنًى، ومُكثِر يخاف على ماله التلف، والحَسود، والحَقود، وطالبُ مرتبة فوق قدره، وخليطُ أهل أدب غير أديب. وقال بعض الحكماء لبنيه: إيّاكم والحسد فإنه يبين فيكم ما لا يبين على عدوّكم. وقال معاوية: ليس فى خِلال الشرّ خَلّة أعدل من الحسد فإنه يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقال ابن المقفّع: الحسد خُلُق دنىء، ومن دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب

حسدوا النعمة لمّا ظهرت[4] فرمَوْها بأباطيل الكَلِمْ [٨٣]
وإذا ما اللهُ أَسدَى نعمةً لم يَضِرْه قولُ حُسّاد النِّعَم

(١) العقد ١ : ٣٠٤ . (٢) العيون ٤ : ٩ ، والموشى (١٣٢٤ هـ) ص ٣ ، النويرى ٣ : ٢٩٦ من أقوال الحسن البصرى، الحاسد للجاحظ ٣ لبعض الأعراب .

(٣) فى العيون ٤ : ١٢ . (٤) روضة العقلاء ١١٤ ، العقد ١ : ٣٠٥ .

ومن الدعاء : اللهمّ إنى أعوذ بك من الكَمَد ، ومن الانطواء على الحسد ، ومن صاحب لا يُقيل عثرة ، ولا يَقبَل معذرة ، ومن صديق يمدح فى المُحَيَّا و يغمز فى القفا ، ومن جار مُؤْذٍ ، وولد عاقّ ، وأَمَة خائنة ، وعبد آبِق ، وعاقر غَيْرَى . وكان يقال : لا يوجد العجول محمودا ، ولا الغضوب مسرورا ، ولا الحُرّ حريصا ، ولا الكريم حَسودا ، ولا الشَّرِهُ غنيّا ، ولا الملول ذا إخوان .

فصل فى كتمان السّرّ

أنشدنى بعض أصحابنا :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سِرَّها (١)   فسِرّك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر :

ليس سِرّى يجاوز الدهرَ قلبى   كل سرّ يجاوز القلب فاشِ

وحدّثنى الرياشىّ قال : يروى أن عثمان بن عَنبسة (٢) بن أبى سفيان أسرّ إليه معاوية سرّا ، فأتى أباه عنبسة فقال : إن معاوية أسرّ إلىّ سرّا ، فأحدّثك به؟ قال : لا ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّ الرجل إذا كتم سرَّه كان الأمر إليه ، وإذا أذاعه فالأمر عليه ، ولا تجعلنّ نفسك مملوكا بعد أن كنت حُرّا ، قال : أفيدخُل هذا بين الأب وابنه؟ قال : لا يابُنيَّ ، ولكن أكره أن تذلّل لسانك بإفشاء السرّ ، قال فأتى معاويةَ فذكر ذلك له ، فقال : أعتقك أخى من رِقّ الخطأ ، وأنشد :

دسّت إلىّ رسولا لا تكن عَجِلا   وآحذر هُديتَ وأمرُ الحازمِ الحَذَرُ (٨٤)
إنى رأيت رجالا من ذوى رَحِم   هم العدوّ بظهر الغيب قد نَذَروا
إن يقتلوك كفاك القتلَ قادرُه   والله جارُك ممّا يُزمِع النَّفَر
فالسرّ يكتمه اِلخلّانِ بينهما   وكلّ سِرّ عدا اِلخلّين منتشر

(١) الموشّى (مصر) ٣٠ ، النويرى ٦ : ٨٣ ، الروضة ١٦٧ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، محاسن الجاحظ ٢٧ . (٢) الخبر للوليد بن عتبة مع أبيه ومعاوية فى العيون ١ : ٤٠ ، والنويرى ٦ : ٨٢ .

وقال قيس بن الخطيم :

فإن ضيّع الإخوان سِرّى فإنّنى ... كَتومٌ لأسرار الصديق أمينُ [١]
يكون له عندى إذا ما ٱئتمنتُه ... مكانٌ بسوداء الفؤاد مكينُ

وقال بعض المحدثين [٢] :

لعمرك ما ٱستودعتُ سِرّى وسِرَّها ... سوانا حذارا أن تَضيع السرائرُ
ولا لاحظتْها مقلتاى بلحظة ... فتفهمَ نجوانا العيونُ النواظرُ
ولكن جعلتُ الوهمَ بينى وبينها ... كلاما فأدّى ما تُجِنُّ الضمائرُ

وقال آخر :

ولا تُخبر بسرّك بل أَمِتْه [٣] ... وصَيِّرْ فى حَشاكَ له حِجابا
فما ٱستودعت مثلَ النفس سرّا ... ولا أغلقت مثلَ الصّدر بابا

وقال العبّاس بنُ الأحنف [٤] :

أيا من سرورى به شِقوةٌ ... ومَن صفو عيشى به أكدَرُ
أظنّك جرّبتَنى بالصدو ... د عمدًا لتَعلَمَ هل أصبِرُ
أَمِنّى تخاف ٱنتشار الحديثِ ... وحظّى فى سِتره أوفرُ
ولو لم أَصُنْه لبُقْيا عليك ... نظرتُ لنفسى كما تنظرُ

---

(١) وتحته : «العشير» ، والكلمة فى (د) رقم ١٢ ص ٢٨ . وانظر الموشى ٣١ ، ولباب الآداب ٢٣ ، وشرح بشار ١٥٧ . (٢) الموشى لصاحب كثير ٣٠ ، وفى الزهرة ٣٠٩ أربعة .

(٣) غرر الخصائص ١٤٨ .

(٤) الكامل ٥٧٩ ، الأخيران من كلمة فى (د) ٨٥ ، وللتنبى تضمين بديع لها ، شرح بشار ١٥٣ ، والموشى ٣١ ، والشعراء ٢٦ ، وأغرب صاحب الزهرة ٣١٢ فى عزوها للحسين بن الضحاك .

فصل آخر فى تفضيل الكبير

حدّثنى الرّياشىّ أن بنى عبد الملك بن مروان كانوا إذا انصرفوا من دار أبيهم مضوا مع أكبرهم حتى يشيّعوه، فإذا فارقوه مضى الباقون مع أسنّهم حتى يرجع آخرهم وحده. (٨٥) ويروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "حقّ كبير الإخوة على إخوته كحقّ الوالد على ولده". ويروى فى الحديث أن يعقوب لمّا دخل على يوسف تقدّم يوسفُ أباه فى المِشية، فأوحى الله: يا يوسف تقدّمت أباك فى المِشية، جعلتُ عُقوبتك ألّا يخرج من نسلك نبىّ. ويروى أن غلاما يقال له ذرّ[1] احتُضِر فحضر أبوه[2] فقال وهو بين يديه يجود بنفسه: ذَرّ، لئن مُتَّ لَمَا فى موتك علينا غَضاضة، ولئن عشت لَمَا بنا إلى غير الله حاجة. فلما مات وقف على قبره ثم قال: اللهمّ إنّى قد غفرتُ لذرّ ما قصّر فيه من واجب حقّى، فاغفر له ما قصّر فيه من واجب حقّك، فلمّا انصرف من قبره سئل كيف كانت عِشرته معك؟ فقال: ما مشى معى فى ليل قط إلّا كان أمامى، ولا فى نهار إلّا كان ورائى، ولا ارتقى سَقْفا كنتُ تحته.

ويروى أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للحسن والحسين: "هما سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما". ويروى أنه قيل لعلىّ بن الحسين[3]: إنك أبرّ الناس وأتقاهم، فما بالك لا تأكل مع والدتك فى صحفة واحدة؟ فقال: أكره أن تقع عينها على لقمة فأحاول أخذها وأنا لا أعلم فأكون قد عققتها. ويروى أن

---

(١) ذر بن عمر بن ذر، همدانى من بنى مرهبة، والخبر فى الكامل ٦٧

[(٢) عمر بن ذر، بن عبد الله بن زرارة بن مسعود المرهبىّ الهمدانى أبو ذرّ الكوفى، كان محدّثا ثقة وواعظا بليغا وعابدا صالحا. توفى سنة ١٥٣، وكان أبوه ذرّ بن عبد الله كذلك محدّثا ثقة، توفى حوالى سنة ١٠٠].

(٣) الكامل ١٣٦ و٣٠٠ [وأمه] اسمها سلافة.

عليّاً كان أبرّ الناس وأتقاهم، وكان إذا سافر كتم نسبَه، وسَتَر وجهَه، فقيل له فى ذلك فقال: أكره أن آخذ برسول الله مالا أُعطى مثلَه. وكان يقول: ما أكلتُ بنسبتى من رسول الله درهما قط.

وحدّثنى الرياشىّ قال: قال سعيد بن المسيّب: (١) كنت وأنا صغير ألعب مع علىّ بن الحسين عليه السلام بالمَداحى، (٢) فكان إذا غلبنى ركبنى وإذا غلبتُه يقول: أتركب ابن رسول الله عليه السلام. والمداحى أصلها من الدّحو، (٣) وهو المرّ السهل، وهى المواضع التى تنتضل بها العرب بينهم، لأنهم يرمون بالواحدة فتقع موضعا ثم تمرّ مرّا سهلا حتى تدخل فى الحُفْرة. وحدثنى أصحابنا جميعا عن الأصمعىّ قال قلت لابن أقيصر (٤): ما خير الخيل؟ قال: الذى إذا آستدبرته حبا (٥)، وإن

(١) ولكن فى ل (دحو) عن أبى رافع: كنت الخ.

[(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى المدنى ولد سنة ١٥ فى خلافة عمر، وتوفى سنة ٩٣ أو سنة ٩٤؛ أما زين العابدين على بن الحسين فكان مولده سنة ٣٨، وتوفى سنة ٩٤، ومن هنا يظهر أن سعيد بن المسيب كان رجلا فى نحو الثلاثين من عمره حين كان زين العابدين غلاما حدثا فى السابعة من سنيه، فبعيد أن يكون قد لعب فى صغره مع زين العابدين. والذى فى لسان العرب. وفى حديث أبى رافع: كنت ألاعب الحسن والحسين رضوان الله عليهما بالمداحى، وهذا هو المعقول، فأبو رافع كان مولى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وتوفى فى خلافة على، وكان مولد الحسن بن على سنة ٣، وولد الحسين سنة أربع. وسئل سعيد بن المسيب عن الدحو بالحجارة، أى المراماة بها والمسابقة؛ فقال لا بأس به].

[(٣) دحا الحجر بيده يدحوه: دفعه ورمى به. والمداحى: أحجار أمثال القرصة، كانوا يحفرون حفرة بقدر ذلك الحجر فيتنحون قليلا ثم يدحون بتلك الأحجار على الأرض، أى يدفعونها إلى تلك الحفرة، فإن وقع فيها الحجر غلب صاحبها فقمر، وإن لم يقع فيها غلب فقمر، والمدحاة: خشبة يدحو بها الصبى].

[(٤) ابن أقيصر، رجل كان بصيرا بالخيل وسياستها ومعرفة أماراتها. تاج العروس].

(٥) الأصل: «حيا» بالياء المشدّدة، وحبا من الحبو، وهذا المعنى: «إذا استقبلت الفرس فكذا، وإذا استدبرته فكذا» يوجد فى أشعار أنيف بن جبلة، والمزى، والأسعر، وعروة بن سنان، والمرار العدوى (فى نسخة الديباجة لأبى عبيدة، عندى) ٧٨، ١١٣، ١٢٣، والحيوان ١: ١٣٢

آستقبلته أقعى (١) ، و إن استعرضته آستوى ، و إذا عدا دحا ، و إذا مشى ردى ، قلت : وما الرَّديان؟ (٢) قال : مشى الحمار بين آرِيّه ومُتَمَعَّكه (٣) . وقالت الأنصار : فقدنا صدقة السرّ مذ مات علىّ بن الحسين صلوات الله عليه .

وحدّثنى مسعود بن بشر قال : قال طاوس : رأيت علىّ بن الحسين ساجدا فى المسجد بمكة ، فقلت : رجل من آل النبىّ عليه السلام ، أمضى فأصلّى خلفه ، فمضيت فدنوت منه ، فسمعته يقول : «عبدك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، مسكينك بفنائك » . فتعلّمتهنّ فما دعوتُ بها فى كرب قطّ إلّا فُرّج عنّى .

وحدّثنى التوزىّ عمّن حدّثه قال : قال علىّ بن الحسين : لقد ابيضّت عينا يعقوب من أقلّ ممّا نالنى ، وذلك أنه فقد واحدا من اثنى عشر ، وأنا رأيت ثلاثة عشر من لحمتى قُتلوا بين يدىّ .

ورُوى عن جابر بن سليمان الأنصارى عن عمه عثمان بن صفوان الأنصارى
قال : خرجنا فى جنازة علىّ بن الحسين رحمة الله عليهما ، فتبعتْنا ناقتُه تخطّ الأرض (٨٧)
بزمامها ، فلمّا صلّينا عليه ودفنّاه أقبلت تحنّ وتتردّد وتريد قبره ، فأوسعْنا لها ، فجاءت حتّى بركت عليه وجعلت تفحص بكِرْكِرَتها (٤) وتحنّ ، فوالله ما بقى أحد إلا بكى وانتحب ، وقال : و بلغنا أنه حجّ عليها ثمانى عشرة حجة أو تسع عشرة حجة لم يقرعها بعصًا .

[(١) حبا يحبو : مشى على يديه و بطنه ، أو على يديه وركبتيه . وأقعى فى جلوسه : ألصق أليتيه بالأرض ونصب ساقيه ؛ وأقعى السبع والكلب : جلس على استه . وردى الفرس : رجم الأرض بحوافره فى سيره] .

(٢) هذا السؤال للأصمعى عن منتجع بن نبهان فى ل (ردى) .

[(٣) الآرى : الآخية ، وهى عود يعرض فى حائط أو فى حبل يدفن طرفاه فى الأرض و يبرز طرفه كالحلقة تشدّ فيها الدابة . والتمعك : تقلب الحمار وتمرّغه فى التراب] .

[(٤) الكركرة : رحى زور البعير والناقة الذى إذا برك أصاب الأرض ؛ وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة] .

وكان يقال لعليّ بن الحسين : ذو الخيرتين(1) ، لأنّ أمّه كانت ابنة يَزْدَجِرْد ، وتأويل ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن لله عز وجل من خلقه خيرتين : من العرب قريش ، ومن العَجَم فارس " . وكان الأصمعيّ يحدّث أن ابنة يَزْدَجِرْد جاءت عليّ بن أبى طالب فى مائة وصيفة ، فقال عليّ : أكرموها فإنها حديثة عهد بنعمة فقال لها : تزوّجى بالحسين ابنى ، فقالت : بل أتزوّجك أنت ، فقال لها : الحسين شابّ ، وهو أحق بالتزويج منّى ، قالت : مثلى لا يملكه من يُمْلَك . وزعم عمر ابن الخطاب أنه ليس أحد أذكى من أولاد السرارىّ ، لأن لهم عزّ العرب وتدبير العجم . ويقال لولد السُّرّية الهجين ، وهو الّذى أمّه أمة وأبوه عربىّ شريف . وأنشدنى الرياشيّ(2) :

إن أولاد السَّرارِى كَثُروا يارَبِّ فينا
ربِّ أدخلنى بلادا لا أرى فيها هجينا

فصـــل آخر

حدّثنى مسعود بن بشر فى إسناد متصل قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل والبَعيث بباب بشر بن مروان بالكوفة ، فدخل عليه داخل فأخبره بمكانهم ، وأعلمه أنه لم يُرَ مثلُهم بباب مَلِك قطّ ، فأذِن للفرزدق ثم لجرير ثم للأخطل ، وأمسك عن (٨٨) البعيث ، فقـال له الرجل : إن البَعِيث معهم ، فقال : إنه ليس كهؤلاء ، ثم أذن للبعيث ، فلما دخل مَثَل بين يديه فقال : أيها الأمير ، إن الناس قد تحدّثوا بالباب أنك أذنت لهؤلاء لفضل رأيته لهم عليّ ، قال : أوَ ما تعـلم ذلك ؟ قال : لا والله ولا الله يعلمه ، قال : فأنشدنى ، [قال] : أو أخبرك من معايبهم بما تستغنى به عن

(1) وفى زيادات الكامل « تحريك الياء أفصح » ٣٠٠ ؛ كأنه يرى التسكين سائغا .
(2) الكامل ٣٠٢ .

الإنشاد، فقال : هاتِ، قال : أما هـذا القرد — يعنى الفرزدق — فقـد قال[١] فى هجائه ابن المراغه — يعنى جريرا — :

فمـالك بيت الزِّبرِقانِ وظِلّه ... ولا لك بيت عند قيس بن عاصم

بأىّ رِشـاءٍ يا جـرير وماتحٍ ... تدلّيتَ فى تلك البحور الخضارم[٢]

يجعله تدلّى عليهم، وإنما أتاهم من تحتهم لو كان يعقل . وأما هذا — يعنى ابن المراغه — فقال فى هجائه هذا القرد يعنى الفرزدق[٣] :

لَقـومىَ أحمى للحقيقـة منكمُ ... وأضربُ للجبّار والنقعُ ساطع

وأوثقُ عند المُرْهَقات[٤] عشيّة ... لحاقا إذا ما جرّد السيف لامع

يجعل نساءه قد أُردفن وفضحهنّ ووثقن باللحاق . وأما هـذا الكافر — يعنى الأخطل — فقال فى وقعة[٥] نجا منها أسيرا[٦]، وأقرّ على نفسه وقومه بالذُّلّ :

لقد أوقع الجحاف بالبِشر وقعة ... إلى الله منها المُشتكَى والمُعوّل[٧]

---

(١) النقائض رقم ٦٩ ص ٧٥٢ .

[(٢) الرشاء : حبل الدلو . والماتح : المستق ، والخضرم : البحر العظيم الواسع] .

(٣) النقائض رقم ٦٦ ص ٦٩٢ .

(٤) وتحته المردفات . وهما روايتان [والمرهقات : المدركات عند الحرب ، والمرهق : من أدرك ليقتل . ولمع بسيفه : أشار به منذرا] .

(٥) (د) ص ١٠ ، والخبر فى شرح مقصورة حازم ٢ : ١٠٤

[(٦) فى الأصل : « يمى فيها أبدا » ، ولعـل الصواب ما أثبتناه ، لأن الأخطل أسر فى هـذه الوقعة ونجا . وانظر الأغانى ١٢ : ٢٠١ (طبع الدار)] .

[(٧) البشر : اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات بين أرض الشام من جهة البادية ، وكان من منازل بنى تغلب . وعرض : بليـد فى برية الشام ، كان من أعمال حلب ، وهو بين تدمر ورصافة هشام ابن عبد الملك . والجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمى كان سيدا شجاعا له بلاء عظيم فى الوقائع التى كانت بين تغلب وسليم من سنة ٧٠ — سنة ٧٥ ؛ فى عهد عبد الملك بن مروان] .

فوصله يومئذ وحرمهم . فحلف جرير أنه لم يقل : « وأوثق عند المردفات » ، وإنما قال : « عند المُرْهَقات »(1) . والشيء يذكر بالشيء ، أنشدنى مسعود بن بِشر(2) لأحمد أخى أشجع السلمى يمدح نصر بن شَبَث :

لله سيف فى يدى نصر … فى متنه ماء الردى يجرى
أوقع نصر بالسواجير ما … لم يُوقع الجحّاف بالبِشْر
أُبكى بنى بكر على تغلب … وتغلبا أُبكى على بكر(3)

(٨٩)

وقيل لبشر بن مروان : أيُّما أشعر، جرير أم الفرزدق أم الأخطل ؟ فقال : والله ما كان الأخطل مثلهما ، ولكن أبت ربيعة إلا أن تجعله ثالثا ، قال : أجرير أم الفرزدق ؟ فقال : إن جريرا سلك أساليب من الشعر لم يسلكها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار وكانوا ينوحون عليها بشعر جرير . وكان الأصمعى يقول : قال أبو عمرو ابن العلاء : الأخطل ثم الفرزدق ثم جرير ، وكان أبو عبيدة يقول بمثل قول أبى عمرو . ويروى أن الفرزدق قال للنوار : أنا أشعر أم جرير؟ قالت : إنك لشاعر وإن جريرا والله لشاعر ، قال لها : أتُقسمين على جرير ! قالت : إنه والله غلبك على حُلوه وشاركك فى مُرّه . وسئل ابن دأب(4) عن جرير والفرزدق فقال : الفرزدق أشعر عامّة

[(١) قال جرير : قلت بيتا من الشعر فى قصيدة ، فقبحه عمر بن لجأ التيمى وقاله على غير ما قلته ، فزعم أنى قلت : «وأوثق عند المردفات» وهو فى قولى : عند المرهقات ، فقال لحقتهن عند القس وقد أخذن غدوة ، ووالله ما يمسين حتى يفضحن (الأغانى فى ترجمة جرير)] .

(٢) الكامل ٢ : ٤٠ ، والبلدان (السواجير) وأحمد هذا له ترجمة فى الأوراق ١ : ١٣٧

[(٣) نصر بن شبث العقيلى ، خرج أيام المأمون بجهة الجزيرة والرقة ، وانضم إليه كثير من العرب وكان بطلا صنديدا ، وانتهى أمره بأن تمكن منه جيش المأمون وسيق أسيرا إلى بغداد سنة ٢١٠ . والسواجير : نهر مشهور من عمل منبج بالشام ، وهناك أوقع نصر بن شبث ببنى تغلب] .

[(٤) كان عيسى بن دأب أكثر أهل الحجاز أدبا ، وأعذبهم ألفاظا ، وأحظاهم عند الخليفة الهادى] .

وجرير أشعر خاصّة . وسئل يونس بن حبيب عنهما فقال أبو عبيدة للسائل : أنا أخبرك عنه ، الفرزدق أشعر . قال يونس : ما شهدت مشهدا قطّ ذُكرا فاتفق أهل ذلك المجلس على أحدهما .

وحدّث أبو عبد الله محمد بن سلّام الجمحي[١] قال : رأيت أعرابيًا من بني أُسَيّد أعجبني ظرفه وروايته ، فقلت : أيهما أشعر عندك ؟ فقال : بيوت الشعر أربعة : فخر ومدح وهجاء ونسيب ، وفي كلها غلب جرير ، فالفخر قوله[٢] :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ الناس كلَّهمُ غِضَابا

والمدح قوله[٣] :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندَى العالمين بطونَ راح (٩٠)

والهجاء قوله[٤] :

فغضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

والنسيب قوله[٥] :

إنّ العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلننا ثم لم يُحْيِينَ قتلانا

وقال أبو عبد الله : والنسيب عندي قوله[٦] :

ولما التقى الحَيّانِ أُلقِيَت العصا ومات الهوى لمّا أُصيبت مَقاتِلُهْ

---

(١) [في الأصل : « أبو عبيدة » . وفيه : « من بني أسد » . وفي الطبقات (تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر) رقم ٤٦١ . « وسألت الأسيدي أخا بني سلامة » ، وقد حققه شارح الطبقات بما أثبتناه] ، ورواية الجمحي في معاني العسكري ١ : ٣١ ، وانظر الإعجاز ١٤٨ ، وغ ٧ : ٥١ ، وثمرات الأوراق ١٣٠٠ هـ ص ٢٩ .

(٢) (د) الثانية ٧٨ . (٣) (د) ٩٨ . (٤) (د) ٧٥ .

(٥) (د) ٥٩٥ ، الكامل ١٦١ ، غ ٧ : ٥١ ، و ١٩ : ٣٧ ، التبريزي ٣ : ١٤ .

(٦) (د) ٤٧٨ ، النقائض رقم ٦٤ ص ٦٣٠ . والعصا : عصا التسيار .

فقلت للأُسَيْدى[١] : والله لقد أوجعكم (يعنى فى الهجاء)، فقال : يا أحمق أَوَ ذاك يمنعه من أن يكون شاعرا ! ويروى أن الفرزدق كان حسن التديّن محمود السيرة ، وأنه كان إذا ضَحِك نا ٱستُغرب فى الضَّحِك ٱلتفت كأنه يخاطب مَلَكَيْه ، فقال : أما والله لأُسمِعَنّكما خيرا : لا إله إلا الله والحمد لله وأستغفر الله[٢] . ويروى أنه اجتمع هو والحسن البصرى فى جِنازة فقال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ، أتدرى ما يقول الناس ؟ قال : لا ، قال : يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشرّ الناس ، فقال الحسن : كلّا لستُ بخيرهم ولستَ بشرّهم ، ولكن ما أعددتَ لهذا الموضع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين[٣] سنة ، فقال الحسن : خذها والله من غير فقيه ، ثم أنشأ الفرزدق يقول[٤] :

أخاف وراء القبر إن لم يُعافِنى ... أشدّ من القبر التهابا وأضيقا
إذا قادنى نحوَ القيامة قائدٌ ... عنيفٌ وسَوّاقٌ يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مشى ... إلى النار مَغْلُولَ القِلادة أزرقا[٥]
يُقادُ إلى نار الجحيم مُسَرْبَلًا ... سرابيلَ قِطْرانٍ لباسا مُمَزَّقا (٩١)
إذا شربوا فيها الصديدَ[٦] رأيتَهم ... يذُوبون من حَرّ الجحيم تحرّقا

[(١) فى الأصل ، وكذا فى الأغانى ٨ : ٦ (طبعة الدار) « فقال كيسان » . وقد رجحنا ما حققه شارح طبقات الشعراء للجمحى ، وهو قريب أن يكون تصحيفا] .

(٢) الكامل ٦٨ .

(٣) وفى الكامل : « مذ ستون سنة » ، وبطرة نسخة بطرسبورغ « الصحيح ثمانون ا ه » .

(٤) الكامل ٧٠ ، وروايته فى البيت : (الجيم ... تمزقا) .

[(٥) يريد مغلولا بالقلادة ، والقلادة هنا جامعة تجمع يده إلى عنقه] .

[(٦) فى الأصل : «القديد» ، وصوابه من الديوان] .

فلمّا مات الفرزدق رُؤى فى المنام فقيل: ما صنع بك ربُّك؟ فقال: غفر لى، فقيل: بماذا؟ قال: بالكلمة التى نازعنيها الحسن على شفير القبر. ويروى[1] أن أبا هريرة قال له: إنى أرى لك قدمين لطيفين فانظر أن تجعل لهما موضعا لطيفا يوم القيامة، ومهما صنعت من شىء فلا تقنَطْ من رحمة الله.

وحدّثنى الرياشىّ قال: هجا الفرزدق ابنَ هبيرة لما وُلّى فقال:

أميرَ[2] المؤمنين وأنت بَـرٌّ ... بذاك ولستَ بالطَّبِع الحريص[3]
أأطعمتَ العـراق ورافِـدَيْه ... فزاريا أحــذَّ يَد القميص
ولم يكُ قبلها راعى مَخَاض ... ليأمَنَــهُ[4] على وَرِكَىْ قَـلوص
تَفَيْهَق فى العـراق أبو المثنَّى ... وعـلّم قومـه أَكل الخَبيص[5]

فبينما ابن هبيرة قاعد ينظر وجهه فى المرآة قالت له الجارية: أصلح الله الأمير، قد قدم أمير آخر، فقال: لا إله إلا الله، هكذا تقوم الساعة، وكان القادم خالد بن عبدالله القَسْرىّ، فأراد خالد أن يعذّب ابن هبيرة، فقال ابن هبيرة: أنشدك الله أن تستنّ فىّ سنّةً هى تُستنُّ فيك غدا، إن القوم الذين ولوك هم القوم الذين عزلونى، فقال: لا حاجة لى فى عذابك، فحبسه. وكان لابن هبيرة مولى من الدُّهاة، فنقَب من داره
(٩٣) إلى حبس ابن هبيرة، وهرب به إلى مسلمة بن عبد الملك، فاستجار به، فدخل مسلمة على أخيه يزيد أو هشام، فقال: يا أمير المؤمنين إن لى حاجة — وكانت تُقْضَى

---

(١) الكامل ٦٩

(٢) الكامل ٤٧٩ و(د — هيل) رقم ٣٠٤، الحصرى ١: ٢١، الجرجانى ٧٤، الحيوان [illegible]: ٦٤

[(٣) يخاطب الفرزدق الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان لما ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق سنة ١٠٢. والطبع: الشديد الطمع].

(٤) انظر كنايات الجرجانى ٧٤ — ٧٩.

[(٥) تفيهق: توسع وتكبر، ويروى: تبنك أى تمكن].

فى كل يوم ثلاث حوائج — فقال : نعم كلّ حاجة لك مقضيّة ما خلا ابن هبيرة ، فقال : ما عوّدنى أمير المؤمنين أن يستثنى علىّ ، فلم يزل به حتى أجابه . وقدم خالد بن عبد الله فأمر مسلمةَ بتلقّيه ، وكان فيمن تلقّاه ابنُ هبيرة ، فقال خالد : يابن هبيرة أإباق كإباق الأَمَة ! فقال ابن هبيرة : أنَوْمٌ كنوم العبد ! (١) وفى ذلك يقول الفرزدق :

ولما رأيت الأرضَ قد سُدّ ظهرها ... ولم يبــق إلّا بطنها لك مَخْــرَجا
دعـوتَ الذى ناداه يونسُ بعـد ما ... ثَوَى فى ثلاثٍ مظلمـات ففـرّجا
خرجت ولم يَمْنُنْ عليك طـلاقةً ... ســوى رَبِذِ التقريب من آل أعوجا (٢)
فأصبحت تحت الأرض قد سرتَ سَيرةً ... وما سار سارٍ مثلها حينَ أدلجا

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أكرم من الفرزدق ، هجانى أميرا ومدحنى أسيرا .

فصـــل آخر فى الفصاحة

حدّثنى الرّياشىّ عن الأصمعىّ قال : قلت لعيسى بن عمر : أنا أفصح من مَعَدّ بن عدنان ، قال لى : تجاوزتَ ، فأنا أفصح منك ، فقلتُ له : كيف يُنْشَد هذا البيت : (٣)

قد كُنَّ يَكْنُنَّ الوجوهَ تستُّرا ... فالآن حين بَدَأْنَ للنُّظّـار

أو بَدَيْنَ ؟ فقال لى : بَدَأْن ، فقلت له : لم تُصب ، لأنه يقال بدا يبدو ، وبدأ الشىءَ يبدؤه إذا أنشأه واستأنفه ، والصواب «حين بَدَوْنَ» .

---

(١) الكامل ٤٨٢ و د من الخمسة ٢٨٧ مع الخبر والعقد ١ : ٢٥٢ .

[(٢) فرس ربذ : سريع خفيف القوائم فى مشيه . والتقريب : ضرب من العدو . وأعوج : حصان سابق مشهور عند العرب] .

(٣) من أبيات للربيع بن زياد ، الحماسة ٣ : ٢٦ ، وأمثال الضبىّ (الجوائب) ٣٠ ، وما هنا أخافه وهما من جهتين المجلس للأصمعى مع أبى عمر الجرمى ، والقائل المتبجح : أنا أفصح من معدّ ، هو أبو عمر ، ولذلك عارضه الأصمعى . انظر التصحيف ٦٦ ، المزهر ٢ : ٢٢٨ و ٢٣٥ ، الأشباه ٣ : ٣٦ ، ومجالس أبى مسلم (نسخة الدار) .

وحدّثنى هارون بن عبد الله المهلبى قال حدّثنى نصرُ بن على بن عبد الله (٩٣)
عن أبيه — وكان أبوه قرينَ سيبويه[1] — قال سمعت الخليلَ بن أحمد يقول : أفصح الناس أَزْد السَّراة .

وحدّثنى هارون عن نصر بن علىّ عن الأصمعى قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم ، قال : وكنّا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس وأزد السَّراة وبنو عُذرة .

وحدّثنى علىّ بن القاسم الهاشمىّ قال : رأيت قوما من أَزْد السراة لم أر أفصح منهم ، وكانوا يلبسون الثياب المصبَّغة ، قلت لأحدهم : ما حملك على لُبس المصبَّغ ؟ قال : ابتغاء الحُسن .

وحدّثنى على بن القاسم عن أبى قِلابة الجَرْمىّ[2] قال : رأيت قوما من بنى الحارث ابن كعب لم أر أفصح منهم . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه الوفودُ فأقرأ الأخماس[3] كلّ خُمس على لُغته فكان أعربَ القوم تميم . وعنه عليه السلام أن عمر بن الخطاب قال له : ما رأيت أفصح منك ، قال : "بَيْدَ أنّى من قريش ونشأت فى بنى بكر بن سعد بن هوازن" . ويروى غير "بيد أنّى" ، "من أجل أنّى" . قال أبو العباس : وكلّ عربىّ لم تتغيّر لغتُه فصيح على مذهب قومه ، وإنما يقال : بنو فلان أفصح من بنى فلان ، أى أشبه لغةً بلغة القرآن ولغة قريش ، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب . ويروى عن ابن عباس أنه قال : كنت لا أدرى ما الفتّاح
حتى سمعتُ ٱبنة ذى يَزَن تقول لخصم لها : هلمّ فاتِحْنى ، أى حاكِمْنى ، فعلمت أن الحاكم (٩٤)

(١) الجهضمى من أصحاب الخليل . وله ترجمة فى طبقات الزبيدى رقم ٢٥ [(٢) أبو قلابة : عبد الله بن زيد بن عمرو بن عامر الجرمى البصرى ، تابعى جليل ومحدّث ثقة ، توفى بالشام سنة ١٠٤] . [(٣) يريد أخماس البصرة وهى : العالية ، وبكر بن وائل ، وتميم ، وعبد القيس ، والأزد] .

الفتّاح . وكنت لا أدرى ما ﴿ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ ﴾ حتى سمعت أعرابيّا ينازع فى بئر فقال : أنا فطرتها ، يريد أنشأتها .

وكان أبو محلم (١) من أفصح من رأيت لسانا ، وحدّثنى (٢) قال : جئت يونس بن حبيب النحوى فسألته عن هذا الحديث : "خير المال سِكّة مأبورة (٣) ومُهْرة مأمورة" (٤) فقال : هذا من لُغاتكم يا بنى سعد ، ويقال : خير المال نِتاج أو زرع ، فأنشدته (٥) :

لهفى على شاة أبى السّبّاقِ ... عتيقة من غنمٍ عِتاقِ
مرغوسةٍ مأمورة مِعناقِ (٦) ... تُحلَب رِسْلا طيّبَ المَذاقِ

فكتبه يونس على ذراعه وقال : إنك لجيّاء بالخير . قال أبو محلّم : المرغوسة النامية (٧) . وأنشد للعجّاج (٨) :

إمامَ رَغْسٍ فى نِصابِ رَغْسِ ... مِن نَسْلِ مَرْوانَ قَرِيعِ الإنسِ
* وابنةِ عباس (٩) قريعِ عَبْسِ *

وحدّثنى عن الأصمعىّ قال : رأيت امرأة من بنى تميم لم أر أفصح منها ، فسمعتها تدعو على أخرى وتقول : إن كنتِ كاذبةً فحلبتِ قاعدة . قال : رِعية الغنم عندهم ضَعَة فإنما تمنّى لها ذلك .

---

(١) الأصل : «قال» . [(٢) أبو محلم اسمه محمد بن هشام ، أو محمد بن سعد بن عوف السعدى ، كان من أعلم الناس بالشعر وأحفظهم للعلم وأذكاهم فيه ، توفى سنة ٢٤٨] . (٣) خرجناه — وهو من أمثالهم أيضا — فى السمط ٣١٧ [(٤) السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة الملقحة ، والمهرة المأمورة هى النتوج الولود] . (٥) فى ل ، و ت (رغس) .
[(٦) معناق : تلد العنوق وهى الإناث من أولاد المعز ، والرسل : اللبن] . (٧) الكثيرة الولد .
(٨) ل (رغس) ، من أرجوزة فى ٧ شطرا أوّل مشارف الأقاويز ص ٥ يمدح الوليد بن عبد الملك .
[(٩) أم الوليد بن عبد الملك هى ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسىّ وهى كذلك أم أخيه سليمان (تاريخ الطبرى)] .

وحدّثنى الزيادىّ قال : قالت امرأة : مررت بالبادية فرأيت أبياتا ، فقصدتها فقامت امرأة هنالك ، وإذا نسوة يتضاحكن ، فقلت : ما يُضحككن ؟ قلن : هذه التى توارت مىٌّ صاحبة ذى الرمّة . قالت : فقلت : فقد والله كنت أشتهى أن أراها ، فالآن لا أبرح حتى أراها ، فدعونها فلم تُجبهنّ ، فأقسمن عليها فخرجت وهى تقول : شهّرنى غيلانُ شهّره الله . فلم أكبرها حين(١) رأيتها ، فلما تكلّمتْ ورأيتُ فصاحتَها (٩٥) علمت أن ذا الرمّة قصّر فى وصفها .

وحدّثنى علىّ بن القاسم قال : قلت لأعرابى فصيح : ما معنى قولهم فى المثل : « كاد العـروس أن تكون أميرا(٢) » لِمَ كاد ذاك ؟ قال : لأن الأكفاء يخدمونها فى تلك الحال . ومن أمثالهم — روى ذلك أبو عبيـدة — أن إبليس تصـوّر لابنة الخُسّ(٣) فقال لها : أسألك أو تسأليننى ؟ فقالت له : سل ، قال لها : كاد . فقالت : « كاد النعام أن يطير » ، فقال لها : كاد ، قالت : « كاد المتعل أن يكون راكبا » . قال لها : كاد ، قالت : « كاد العروس يكون أميرا(٤) » . ثم قال لها : سلينى ، قالت : عجبتُ ، قال : من الحجارة لا يشيب صغيرها ولا يَهرَم كبيرها ، قالت : عجبتُ ، قال : من السَّبِخة لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها ، قالت : عجبت ، قال : من حِرِكٍ لا يُبلَغ حفرُه ، ولا يُدْرَك قعرُه ، قالت : أُعزُب عليك لعنة الله . ويروى أن ابنة الخُسّ كانت بليغة فصيحة .

---

(١) وتحته : « حتى » .

(٢) الميدانى ٢ : ٨٩ ، ٧٠ ، ٩٤ ؛ ولكنهم رووا المثل : « أن يكون » ، بالتذكير .

[(٣) هى هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادىّ ، كانت معروفة بالفصاحة وحضور البديهة وجاء عنها بعض الأمثال] .

(٤) الأمثال الثلاثة فى الكامل ١١١ .

وحدّث محمد بن سلام عن يونس النحوى قال : النحويّون يغلطون فى ثلاثة أشياء، (١) يقولون فى نكاح أم خارجة : "خِطْب" فتقول : "نِكْح" ، (٢) (٣) وإنما هو نُكْح ، (٤) ويقولون : ابنة الخُسّ ، وإنما هو الأُخُسّ ، مثل الأَرُزّ ، ويقولون : "ليس لحاقن رأى" ، (٥) وإنما هو ذِهْن . ويقال : رجل خَسّ ورجال أُخُسّ ، من الخسة .

وحدّثنى المازنىّ وغيره قال : أم خارجة امرأة ولدت زُهاءَ عشرين حيّا من العرب ، وآخر من نكحها عمرو بن تميم ، وذلك أنه أتاها فسبق أهلها الذين أرادوا أن يمنعوه منها مثل ما يسبق الراكبُ الراجلَ ، فقال لها : خِطْب ، قالت : نُكْح ، فى قول يونس فجاءوها فوجدوها قد تزوجت .

فصل آخر فى الجمال ٩٦

يروى عن ابن كُناسة قال : الجمال فى الأنف ، والحُسن فى العينين ، والملاحة فى الفم . وقال ابن عباس وقد سئل عنه المحدّثين (٦) (كذا) وعن بنى أمية فقال : نحن أصبَحُ وأسمَحُ وأفصَحُ ، وقال آخر :

يُرْوَى حديثٌ عن نبىّ الهدى ... يحكيه عن أسلافنا حاملوهْ

---

(١) قوله هذا فى البيان ١ : ١٧٠ .

[(٢) أم خارجة امرأة من العرب فى الجاهلية اسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة . زعموا أنها تزوجت أكثر من أربعين رجلا ، يأتيها الخاطب فيقول : خطب ، فتقول : نكح ، حتى ضرب المثل بسرعة زواجها ، فقالوا : أسرع من نكاح أم خارجة] .

(٣) انظر مظان المثل فى السمط ٦٠٠ والثمار ٢٤٩ .

[(٤) فى لسان العرب أن الاسم من النكاح (نكح) بضمّ النون وكسرها . وربما آثروا كسر النون ليوازن قولهم : (خطب) ، وقال الجوهرى : النكح لغتان] .

[(٥) الحاقن : الذى حبس بوله] .

(٦) لعل الأصل : عن المحدثين ، يريد آل عباس — ومرّ مقال ابن عباس هذا فى باب الجود والكرم .

أن رسول الله فى مجلس قال وقد حَفّ به حاضروهْ

إذا سألتم أحدا حاجةً فالتمسوها من صِباح الوجوه

وكان يقال : إن الجمال كان من قريش فى ثلاثة : مصعب بن الزبير، وطلحة بن عبيد الله[1]، وعمرو بن سعيد بن العاص، إلا أن ابن الرقيات[2] قال لما أنشد عبدالملك :

يعتقد التاجَ[3] فوق مَفْرِقه على جبين كأنه الذهبُ

فقال : أما مصعب بن الزبير فتقول فيه[4] :

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ

ويروى أنه كان يقال له الدِّيباج . وكان يقال : لم يُرَ أزواجٌ قطّ أحسن من ثلاثة : عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير، ولبابة[5] بنت عبدالله والوليد بن عتبة، وجعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عُمَيس[6] . ويروى أن لبابة قالت : ما نظرت وجهى قطّ فى مرآة ونظرتُ معى امرأة إلا رحمتُها من حسن وجهى، حتى تزوجت الوليد بن عُتبة فنظر معى فى المرآة فرحمتُ نفسى من حُسن وجهه . ويروى عن

[(١) طلحة بن عبيد الله صحابى جليل، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ . ومصعب بن الزبير بن العوام قتل سنة ٧٢ . وأبو أمية عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى الأشدق الخطيب البليغ تغلب على دمشق سنة ٦٩ ثم لاطفه عبد الملك بن مروان حتى قتله غدرا سنة ٧٠ هـ] .

(٢) (د) رقم ١ ب ١٨ ص ٧١ ، والخبر على طوله فى الفرج ٢ : ١٢٣ ، وشرح بشار ١ : ٩١ .

[(٣) يقال : عقد التاج فوق رأسه واعتقده، أى عصبه به] .

(٤) (د) رقم ٣٩ ب ٣٠ ص ١٧٦ ، الكامل ٣٩٧ .

(٥) الأصل : « لبانة بنت عبيد الله » بتصحيفين، وانظر المعارف ٤٠ (سنة ١٣٠٠ هـ) .

[(٦) توفيت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله سنة ١٢٣ ، ولبابة هى بنت عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب . وأسماء بنت عميس بن معد من المهاجرات الأول، توفيت سنة ٣٨ ، وتوفى الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان سنة ٦٤ ، وجعفر بن أبى طالب استشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة] .

ابن عباس رحمة الله عليه قال : قدم الوليد بن عتبة المدينة[(١)] فكأن وجهه ورقة مصحف ، وكأن مَنْطِقَه نظمُ خَرَزٍ ، فلم يبق بها راجل إلا حمله ، ولا فقير إلا أعطاه . (٩٧)
وذكر النسابون أن لبابة بنت عبد الله بن عباس[(٢)] كانت عند عباس بن علي بن أبي طالب فولدتْ له عبيد الله بن العباس ، ثم قتل عنها مع الحسين بن علي صلوات الله عليهما ، فتزوجها الوليد بن عتبة وهو يومئذ أمير المدينة ومكة ، فولدت له القاسم ابن الوليد ، وهلك عنها الوليد ، فتزوجها زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[(٣)] .

ويروى أن عبد الله[(٤)] بن جعفر والحسين بن علي وعبد الله بن عمر ومصعب ابن الزبير وجّهوا بحُبَّى المدنيّة[(٥)] الى أربع نسوة تخطبهن لهم : عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين ، وأمّ البنين ، وامرأة ذهب عني اسمها ، فأتتهن حُبَّى وأعلمتْهن بما قصدت له ، فكلٌّ قال [ما] فيمن ذكرتِ أحد يُرغب عنه ، قالت لهن : ولكن بيني وبينكن شريطة ، قلن : وما هي ؟ قالت : تمشي كل واحدة منكن بين يديّ متجرّدة . فأبين إليها ، فأدّت عائشة بنت طلحة بما عندها من الجمال ، فتجرّدت

[(١) ولى الوليد بن عتبة المدينة غير مرّة ، ففي سنة ٥٧ عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة وأقرّ عليها ابن أخيه الوليد بن عتبة ، وحج بالناس في سني ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، وبقي والي المدينة حتى توفي معاوية سنة ٦٠ وولى ابنه يزيد فعزل عتبة عن ولاية المدينة وأمر عليها عمرو بن سعيد بن العاص ، ثم عزله يزيد في أواخر سنة ٦١ وأعاد الوليد بن عتبة أميرا على الحجاز ، ثم لم يلبث أن عزله بسعاة عبد الله ابن الزبير وتدبيره . وتوفي الوليد في الطاعون سنة ٦٤] .

(٢) أمه أم البنين بنت حرام الوحيدية .

[(٣) تزوّجت لبابة زيد بن الحسن بن عليّ فولدت منه السيدة نفيسة ، وهي غير السيدة نفيسة بنت الأمير الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب المتوفاة بمصر سنة ٢٠٨] .

(٤) الأصل : « عبيد » ، وفي غ ١٠ : ٥٢ في أخبار عائشة خبر آخر يشبه هذا .

(٥) حبى المدنية هذه يضرب بها المثل في الشبق ، وانظر الكامل ٧٦٦ .

ومشت . فلما رجعت حَبِّي إليهم أعلمتهم بما رجعت به منهن ومن عائشة ، فقالوا : كيف رأيتها حين تجردت ؟ قالت : مشت فما بقيت فى بدنها شحمة إلا تحركت ، فتزوجها مصعب بن الزبير ، فشرطت عليـه ألّا تستر وجهها عن أحد ، وقالت : لا أُخفِي ما رزقنيه الله من الجمال .

وقال الهيثم بن عدىّ[(١)] : أخبرنا يونس بن إسحاق[(٢)] قال : كان الجمال من أهل الكوفة فى ثلاثة نفـر : الأشعث بن قيس الكندىّ ، وعدىّ بن حاتم الطائىّ ، وجرير ابن عبد الله البجلىّ ، فدخلتُ مأدُبةً فى السَّبيع[(٣)] فرأيت هؤلاء الثلاثة ، فما رأيت بَيْضَ نعـام ولا طريدةَ ظبي ولا تمثالا إلا وما رأيتُ من هؤلاء الثلاثة أحسنُ . وقال الهيثم : وكلٌّ أعوَرُ . قال يونس : فأما الأشعث بن قيس فأصيبت عينـه يوم اليرموك ، وأما عدىّ بن حاتم فأصيبت عينه يوم الجمل ، وأما جرير فأصيبت عينه بهَمَذان[(٤)] . (٩٨)

فصـــل آخر

حدثني الرياشيّ عن الأصمعي قال : كانت أم البنين[(٥)] بنت يزيد بن معاوية عند عبد الملك ابن مروان ، وكانت من أحسن الناس وجها وأتمهم خَلقا ، ويروى أنه وقع بينها وبينه هجرة فى أمر الدخول إليها ، فمنعته من ذلك ، فعسر عليه رضاها ، فشكا أمره

[(١) الهيثم بن عدىّ بن عبد الرحمن بن يزيد الكوفى صاحب التواريخ والأشعار ، كان أديبا راوية عالما بارعا حلو المحاضرة ، توفى سنة ٢٠٧] .

[(٢) كذا ، وأظنه يريد يونس بن أبى إسحاق السبيعى ، توفى سنة ١٥٩ ، وأبوه الإمام أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن علىّ بن هانئ الهمدانى السبيعى التابعى المحدث توفى سنة ١٢٧] .

[(٣) السبيع : محلة بالكوفة كان يسكنها الحجاج بن يوسف ، وكانت تسمى بقبيلة السبيع بن سبع من همدان . معجم البلدان وتاج العروس] .

[(٤) كان فتح همذان سنة ٢٢] .

(٥) المعروف فى اسمها عاتكة كما فى غ الدار ٢ : ٢٨٣ وفيه عمر بن بلال الأسدى بدلا من «خزيم» .

إلى خُريم[1]، فضمن له أن ترضى عنه، وضمن له عبد الملك قضاءَ جميع ما يسأله إن وقع ذلك، فمضى خريم إلى بابها وشقّ جيبه وجعل التراب على رأسه، فسئل عن خبره فذكر أن أحد ابنيه وثب على أخيه ليضربه فقتله إما عمدا أو خطأ، فبلغ الخبر عبد الملك فحكم بقتل القاتل، فيذهب منه ابنان، وهو بتأديب ابنه أحقّ، وذكر لها حُرمتَه بيزيد وبها، فأرسلت إليه تُعلمه أنها مغاضبة لعبد الملك، فازداد عويلا وبكاء، فرحمتْه، وأرسلت بخادم يتعرف خبر عبد الملك، فسرّ وسُرِّيَ عنه، وأقبلت أمّ البنين تتهادى بين وصائفها حتى تمثلت بين يديه، ثم قالت له: [ما كان من حقّك أن أبتدئك بالكلام، ولكن] جور حكمك حملني على ذلك، لِمَ حكمت بقتل ابن خريم، لأنه قتل أخاه؟ أليس أبوه أحقّ بتأديب ابنه منك؟ ففطن عبد الملك للحيلة، فقال لها: إني لا أُمكن رعاياى من أن يقتل بعضُهم بعضا، قالت: فهبه لى، قال (٩٩) فادخلى البيتَ، فدخلتْ، وأُلقِيَ السِّتْر، قال خريم فجئت عبد الملك فقلت: كأنى بها قد قالت كذا، قال: نعم وألقى الستر، قال خريم: الوعد، قال: فما حاجتك؟ قال: تُقطِعنى كذا، قال: نعم أفعل، وتُثبت ابنى فى العطاء، قال: أفعل، وقضى حاجتــه.

وحدثنى مسعود بن بشر أن عبد الملك وجّه بخادم له[2] إلى أم البنين يسألها أن تصير إليه، فأخذت فى زينتها، وطال اختلاف الخادم إليه، فبَصُرت به عُثامة

[(١) لعله خريم بن عامر بن الحارث بن خليفة بن سنان بن أبى حارثة المرّى المعروف باسم خريم الناعم — وابنه اسمه عثمان. هذا وفى الأغانى ج ٢١ ص ■ حديث لعبد الملك بن مروان مع أيمن بن خريم ابن الأخرم بن عمرو بن فاتك الأسدى كان من أثره أن دخلت امرأة أيمن بن خريم على أم البنين عاتكة زوج عبد الملك فى شأن زوجها ابن خريم، ولعله من هنا جاء ذكر خريم فى الأصل سهوا، وإلا فالذى كان وساطة بين عبد الملك وزوجه عاتكة فى رضاها عنه هو عمر بن بلال الأسدى من خواص عبد الملك ابن مروان. وخريم بن الأخرم والد أيمن صحابى — وقد تكرر تصحيف (خريم) فى الأصل (خزيم) بالزاى، وصوابه بالراء المهملة].

(٢) الأصل: «لها».

جارية عبد الملك ، فسألته عن خبره ، فأعلمها انتظارَ عبد الملك لأم البنين واحتباسها عنه ، فقالت له : إن أدّيتَ إليه ما أقول فلك عشرة آلاف درهم ، فقالت : قل له : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ، وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فأخبر الخادم عبد الملك ، فأرسل إليها وخلا بها دون أم البنين .

وتحدّث عمر بن شبّة عن[1] رجاله أن عليّة[2] بنت المهدى كانت من أحسن النساء وجها وأتمّهن خَلقا وأسهلهن شعرا ، ولم يكن فيها عيب غير[3] سعة فى جبينها ، فاتّخذت العصائب من الجوهر وغيره ، واستعملها الناس بعدها . وكانت تحبّ خادما للرشيد يقال له طَلّ ، فبلغه الخبر ، فحلف عليها ألّا تُسمّى باسمه ، فقرأت يوما : ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ فالذى نهاها عنه أمير المؤمنين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ . فبلغه ذلك فقال : أَبَتْ إلا ظَرْفا

وكانت تحب خادما له يقال له رَشَأ ، فصحّفت[4] اسمه وقالت فيه :

وَجَدَ الفُؤادُ بزينبا وَجْدا شديدا مُتْعِبا[5]

---

(١) الأصل : « عند » . [وعمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصرى النميرى ، ولاهم الأديب النحوى كان راوية للأخبار عالما بالآثار فقيها صدوقا ثقة . ولد سنة ١٧٢ وتوفى سنة ٢٦٢ .

(٢) ولدت علية بنت المهدى سنة ١٦٠ وكانت من أحسن الناس وأظرفهم . تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة ، وكانت ذات دين متين وعفة وصيانة وكمال ، تكثر قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف والكتب الممتعة ، وتؤدّى الصلوات فى أوقاتها . وكانت تقول : ما حرّم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضا ، فبأىّ شىء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله لى فاحشة ارتكبتها قط ، ولا أقول شعرى إلا عبثا . على أن كثيرا من الشعر المنسوب إليها إنما غنت به وليس لها بل هو لبعض الشعراء فى عصرها أو قبله كابن رهيمة المدنىّ والعباس بن الأحنف وخالد الكاتب — توفيت علية سنة ٢١٠] .

(٣) فى ٩ : ٧٩ فى أخبارها .

(٤) غ من ٦ أبيات .

(٥) [تنسب هذه الأبيات لابن رهيمة المدنىّ الشاعر ، واسمه محمد مولى خالد بن أسيد ، وكان يتعشق بعض جوارى زينب بنت عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ ، وكانت عجوزا كبيرة ، ولها جوار مغنيات هام ابن رهيمة بإحداهن ، فكان يشبب بزينب التى جعلها سترة . ويغنيه يونس الكاتب ويلقيه على جواريها ؛ فيسر بذلك ويصلها ويكسوها . ثم إن سيدتها زينب حجبتها لشىء بلغها ، فقال ابن رهيمة هذه الأبيات . فاستعدى عليه أخو زينب هشام بن عبد الملك . فزجره وردعه (انظر الأغانى فى أخبار ابن رهيمة المدنى) ، وانظر (أمثال الميدانى ج ١ ص ٢١٥)] .

فجعلتُ زَيْنَبُ سُتَرَةً[1]   وكتمتُ أمرا معجبا

ويقال إنها مشت على ميزاب طوله عشرون ذراعا وكتبتْ إلى الخادم[2] :

يا طَــلُّ من كَلَّف بكم يكفى   قــد كان ما حُمِّلتُــه زمنــا

أمشى عــلى حَتْفٍ إلى حَتْفِ   حــتى أتيتـــك زائــرا عَــتَمًا[3]

ويروى أن الموكّل بالقصر منع طَلّا من الدخول لأجلها فقالت فى ذلك[4] :

متى يلتقى من ليس يُرْجَى خروجُه   وليس لمن تهــوَى إليه دخــول

ويروى : « سبيل » .

عسى الله أن يرتاح منه برحمــة   فيُشفَى جوًى من مُدْنَف وعويل

ولها فى الرشيد :

سـلام على من لا يَرُدّ ســلامى   ومن لا يرانى موضــعا لكلام

وما ذا عليــه أن يَرُدّ مسلّما   إذا كان يَقضى بالســلام ذِمامى

ويروى أنهــا إذا وُعِظَتْ وخُوِّفت ما ينالها من نكير الرشــيد إن صحّ عنــده خبرها أنشدتْ[5] :

تالله أتـــرك مُهجــتى تَبـــلَى   وأطيع رأيك فى الهـــوى عقلا

ثم تقول : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "حُبُّك الشيءَ يُعْمِى ويُصِمّ" .

[(١) يقال فى المثل "زينب سترة" يضرب عند الكناية عن الشىء (أمثال الميدانى)] .

(٢) غ ٩ : ٧٩ : « وحدثه وقالت فى ذلك : قد كان الخ » .

(٣) غ : « زائرا عجلا » .

(٤) غ من ٣ أبيات ، والعمدة ١ : ٢١٣ .

(٥) الزهرة ٣٢٩ لابن العتبى فى خبر ، وروايته :

* أتظن ويحك أننى أبلى *

وعلى ذلك ما يروى عن أحد الحكماء[١] أنه قال : الهوى يقظان والرأى نائم .

وأنشد لمحمود الوراق :

هواك « ولا تُكْذَبْ » عليك أميرُ   وأنت رهينٌ فى يديه أسيرُ

يسوءك عصيانا وأنت تطيعه   وطاعتُه عارٌ عليك كثيرُ

ويروى عن بزرجمهر أنه قال : الهوى غالب والمغلوب مستعبَد .

(١٠١) وكان عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه يقول : جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم .

ويروى لهشام بن عبد الملك ولم يقل غيرَه[٢] :

إذا أنت لم تَعْصِ الهوى قادك الهوى   إلى بعض ما فيه عليك مَقالُ

وقال معاوية : لولا يزيد لأبصرتُ رُشْدى . وقال معاوية : لا رأى لذى هوًى . وقال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : إنما أخشى عليكم الهوى . وقالوا : أصبر الناس من كان رأيه رادًا لهواه . وقالوا : إنما سمى الهوى لأنه يَهوى بصاحبه .

وأنشد لبعض المحدثين[٣] :

تُرانى تاركا باللّـ   ـه ما أهوى لما تهوى

أنا أعلم أن الحـ   ـبَّ من قلبى إذًا دعوى

---

(١) عامر بن الظرب . العيون ١ : ٣٧ .

(٢) العيون ١ : ٣٧ شرح بشار ١٩٥ الكامل ٢٢٧ البيان ٣ : ٩٥ .

(٣) فى الزهرة ٣٢٨ :

ترانى تاركا بالـلـ   ـه ما أنوى لما أهوى

أنا أشهد أن الحـ   ـب من قلبى إذا دعوى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حبّب إلىّ النساءُ والطِّيب وجُعلت قرّة عيني [في] الصلاة " . وقال بعض الأعراب : إني لأعشق الرزق و إنه ليُبغضني . وقال محمد بن واسع[1] : ما بقي شيء أهواه، وألذّه إلا الصّلاة .

* * *

كمل كتاب فاضل (كذا) المبرّد، والحمد لله الموجب الشاكرين مزيدا كما هو أهله ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الفاضلين ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ .

* * *

استوفاه مطالعةً العبد الفقير إلى الله حسن بن أحمد الجوهري عفا عنه بمنّه .

---

(١) الأصل : « واسـ » ، والباقي مقطوع في التصوير .

* * *

يقول الميمنى : وتمّ نسخه من نسخة جلبتُها مصوّرةً من إستنبول لتُمَثّـل للطبع بمنزلى فى عليكرة يوم السبت (خامس ذى القعدة الحرام سنة ١٣٥٦ هـ — ٨ ينـاير سنة ١٩٣٨ م) . ثم أكملت التعليق فى ٣١ من يناير المذكور .

وقع بصرى فى بعض تطـوافى بخزائن إسـتنبول فى خزانة أسعد أفنـدى من مكاتب السليمانية على نسخة منزوية فى المجلّد رقم ٣٥٩٨ فيها (أمثال الضبى)، وهذا الكتاب و(الطراز الأسمى)، ولكل ساقطة — كما قيل — لاقطة، فخالجنى الارتياب أن كلام الناسخ فى الخاتمة : « كمل كتاب فاضل المبرد » ربما تكون كلمة « الفاضل » فيه صفة للبرّد قدمها الناسخ على طريقة العجم، وسُرعان ما زال بعد قراءة فصول منه لأنى كنت أحفظ فى رَيَعان الشباب معظم (الكامل) ، فجزمت بأنه ليس به ألبتّة وإن لم أكن أذكر للبرّد تأليفا بهذا الاسم .

فصوّرته وجلبتـه فيما جلبتـه . ولمّـا نقّبت عنـه فى كتب التراجم وغيرها بعد رجوعى لم أجد أحدا يكون يعـرفه غير ابن النـديم ص ٥٩ باسم (كتاب الفاضل والمفضول) . وأما ناسخ نسختنا فإنه لم يذكر الاسم الا فى الخاتمة .

هـذا ورأيت فى (جمهرة العسكرى ٢٢٠ ، ٢ : ٣٧٨ لطبعتيه) فى المثـل « لا ترضى شانئة إلا بجَزْرة » تفسير المبرد عن أم الهيثم ، ولعله عن هـذا الكتاب فانه لايوجد فى (الكامل) ألبتّة .

والنسخة بقطع وسـط ، ومسطرتها ١٩ سـطرا فى الغالب ، وصفحاتها ١٠١ يدلّ خطها وورقها أنهـا لا تجاوز القرن الثامن . والله أعلم . وهى مصحّفة ومحرّفة للغاية، تدل على جهل الناسخ بالعربية، فلم أتبعه فى كل ما أثبته ، ورجعت بكلّ شيء إلى أصله ، ولم أدلّ على ذلك إلّا نادرا ، وظهر لى أن فى الكتاب خرما

صغيرا أو كبيرا فى موضعين ص ٢٠ و ٢٢ غير أن الكلام متصل بعضه ببعض فى هذه النسخة . والكتاب كما ترى للمبرد حقا يشبه (الكامل) من جميع الجهات كأنه كامل صغير ، يصلح لأن يدخل فى مناهج الدروس فيتدارسه النشء ، وهو أثر ثالث[1] للمبرد يُبعث من مرقده على يدى العاجز (عبد العزيز الميمنى) ، لثمان بقين من ذى القعدة الحرام سنة ١٣٥٦ هـ ٢٥ يناير سنة ١٩٣٨ م .

طبعات المراجع جلّها مقيد بأول (سمط اللآلى) إلا (محاضرات الراغب) فإنى راجعت طبعته الأولى لما ألفته بعد السمط .

---

(١) بعد (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ، و (نسب عدنان) .

الفهـارس العـامة



فهـــرس الشـــعراء

فهـــرس القـــوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
يا أمينَ	وحَسَبْ	رمــل	٥٧	١
ليست	الغضَبْ	«	٨٩	١٦
(ت)				
سأشكرُ	جَلَّتِ	طــويل	٩٨	١٣
ومــا	بَحَت	رجــز	١٩	٨
قمَــد	القَيْنات	خفيف	٧٤	١٧
وكأنَّ	فَأَنهلَّتِ	كامــل	٢٤	٢٠
لعَمرُك	فَبوْتا	وافــر	٧٥	١٦
(ج)				
ولمّا رأيت	مُخرَجا	طــويل	١١٢	٥
أعذنى	علاجا	وافــر	٦	١٢
(ح)				
فــا	الروائحُ	طــويل	٤٣	١٩
ألســتُم	راحِ	وافــر	١٠٩	٩
(د)				
أبا مُجْرِم	العبــدُ	طــويل	٥٩	٤
أيــا	الرَّعــدُ	«	٢٦	٢
الله	مُزْبِــد	كامــل	٥٣	٢
ياسـتّة	وسادُ	«	٦٧	٢
هاتــوا	لا يوجَدُ	«	٦١	١٤
أمرتُكَ	آل نجد	وافــر	٦٤	٧
الشيبُ	مَوْدُود	بسـيط	٧٥	١٣
ياقــلّ	تصريدُ	«	٧٤	٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
ولستُ	عُــودَا	متقارب	٤٤	١٠
تَشِـطَ	أبعَــدُ	«	١٤	١٦، ١١
(ر)				
رأينَ	النواضرِ	طــويل	٧٧	١٠
وقلتُ	يَجــرى	«	٦٥	٧
ســلامٌ	عصر	«	٢٩	٢
لكلّ	أزورُها	«	٢٤	٢
خليــلىّ	بُحْــرًا	«	٦٢	١٠
وما	مُصــوّرُ	«	٦	٦
ومستأسد	فتذكّرا	«	٤٦	١١
أنجعــل	مُضْــمَرُ	«	٨٦	١٠
أمِن	فهجّــرُ	«	١١	٤
أخًا	فيغفرُ	«	١٤	٢
تخالهُم	التّاجرِ	«	٩٠	٨
إذا كان	الشكرُ	«	٩٥	٥
هــواكَ	أســيرُ	«	١٢٣	٣
فــدًى	الدوائرُ	«	٥٤	٩
وزهّدنى	الشكرِ	«	٩٧	٢
لعمــرُك	السرائرُ	«	١٠٣	٥
فإنّ	بالمجــرِ	«	٢٥	١٤
وأعرِض	المجــرُ	«	٢٥	١١
لَنِعْـم	السُّـمْرِ	«	٦١	٤
جلّت	مأجورُ	كامــل	٦٢	١

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
	(ص)		
أميرَ	الحريصِ	وافر	٦ : ١١١
	(ض)		
شكرتُك	يقضى	طويل	٤ : ٩٩
لنعم	بعضا	وافر	٢ : ٤٨
إنى	تخضى	رجز	١٢ : ٧١
والنبلَ	حَبْضا	«	١٥ : ١٩
قد صرت	نقضُ	«	١٧ : ٧١
	(ط)		
لا تذهبنّ	فرطا	رجز	٨ : ٧
	(ع)		
فشتانَ	ونطلعُ	طويل	١٢ : ٩١
نمدهم	يوسعُ	«	٥ : ٤٠
لقومى	ساطعُ	«	٧ : ١٠٧
فلما	ضَبع	«	١٥ : ٤٧
وإنى	جوعا	«	٩ : ٤١
زنيم	الأكارعُ	«	٩ : ١٠
أرجّى	لطموعُ	«	٥ : ٧٠
ائن	منقعا	«	١١ : ٦٣
أرى	صنائعا	«	٦ : ٦٢
ألا هل	متتعتعُ	«	٩ : ١٢
لعمرى	فأوجعا	«	١١ : ٨٣

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
وإنّى	أربعُ	طويل	١ : ٩١
ولستُ	المدامعُ	«	٤ : ٢٧
ومن	القنازعا	«	٥ : ٨١
إذا	أضيعُ	«	٨ : ١٠١
وإنّى	جائعُ	«	١٦ : ٢٨
أبا المنازل	بجمعا	بسيط	١٥ : ٦٣
وتجلّدى	أتضعضعُ	كامل	١٦ : ٥١
إنّ	مولعا	«	١٥ : ٢١
إنّ	المصنعِ	«	٢٠ : ٣٥
مالك	أنزعُ	رجز	٩ : ٤٨
والكبير	أربعُ	«	١٣ : ٧٠
وقد	قطّاعِ	بسيط	١٦ : ١٢
وذاتُ	جذعا	منسرح	١٣ : ٨٢
	(ف)		
تعرضن	الخوالف	طويل	١٦ : ٢٤
أعطيتها	مُعنافا	كامل	٢٠ : ٨٥
لا تجلنّ	السرفُ	بسيط	١٥ : ٣٤
لأشكرنّك	معروفُ	«	٤ : ٩٦
يامن	الصدفُ	«	٦ : ٦٦
أنت	ضعفا	سريع	١٠ : ٩٨
قد	يكفى	«	٣ : ١٢٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
	(ق)		
لعلّك	طريق	طويل	١٥:٢٧
وما	فيشوقُ	«	٧:٢٥
ولمّا	عواتقُهْ	«	٧:٢٣
أخاف	وأضيقا	«	١٠:١١٠
أفنى	ومنطلقِ	بسيط	١٢:٧٢
قالت	خُرُقُ	«	٦:٤٢
إنّ لنا	حقائقا	رجز	١٢:١٠
إذا	القَياقِ	«	٩:٨٠
لهفى	السباقِ	«	٦:١١٤
أعارك	حَقّه	وافر	١٢:٩٦
	(ل)		
زيادتنا	تتلو	طويل	٣:٧٩
لقد	والمعوّلُ	«	١١:١٠٧
وامّا التقى	مقاتلُه	«	١٥:١٠٩
إذا	دَخْل	«	١١:٢٦
الا	تُزايلُه	«	٩:٢٧
سأقدحُ	أهلِ	«	٥:٣٩
متى	دُخولُ	«	٦:١٢٢
رأيتُ	قتولُ	«	٢:٢٨
الا كلّ	زائلُ	«	١١:٩
وإنّى	النصلُ	«	١٤:٦٧

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
لعمرى	شمائلى	طويل	١٢:٧٣
إذا	مَقالُ	«	٩:١٢٣
أروحُ	والوصلِ	«	٤:٢٥
بربعٍ	مالِ	«	٥:٤٨
رواحلنا	منهلِ	«	٢:٤٧
ومابى	محفلُ	«	١٤:٦
ومستنبح	جَزْلُ	«	١٣:٣٨
وماذا	بازلِ	«	٥:٥٤
وعاوٍ	يحاولُه	«	٤:٣٨
وقدرٍ	الأراملُ	«	١٣:٣٩
ليس	قليلُ	كامل	١٠:٣٩
بيضٌ	بمعاقلِ	«	٩:٤٦
تالله	عقلا	«	١٤:١٢٢
الشيب	الغزَلُ	«	٦:٧٧
وأخٍ	دخيلُ	«	١١:٦١
وكلّ	مشمول	بسيط	١٤:٤٣
ألفى	أجلُ	«	٩:٧٦
قلن	الجملُ	«	١١:٤٧
كان	فتصلْ	رجز	١٣:٧٦
سألتُ	السؤالا	متقارب	٤:٦٠
أضرّ	الأكحلُ	«	٧:١٣
الحوّلُ	الحيلُ	منسرح	١٤:٨٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
	(م)		
عوى	نومُ	طويل	١٨ : ٣٧
رأيتك	ابن أذهما	«	٩ : ٩١
يديروننى	سالمُ	«	٩ : ٥١
لسانُ	والدّمِ	«	٣ : ٦
أفاطمَ	يتيمُ	«	٦ : ٨٣
وعاذلة	أضيمها	«	٩ : ٤٠
تحلّمْ	تحلّما	«	٥ : ٩٠
لذى	ليعلما	«	٢ : ١٢
سلامٌ	لكلامِ	«	١٠ : ١٢٢
فسالك	عاصمِ	«	٣ : ١٠٧
وأنت	سواهما	«	٨ : ٢٦
وكنتُ	صَمَمِ	«	٣ : ٨٣
وإنّا	ومُنسِمُ	«	١٥ : ٣٧
توسّمتهُ	هاشمِ	«	١ : ٣٢
بأحسنَ	خيامُها	«	٥ : ٢٩
لن يُدرك	لأقوامِ	بسيط	١١ : ٨٩
وصاحب	محمومُ	«	١٥ : ٤٦
كم	عظّموا	«	٦ : ٣٥
لا خيرَ	أُدُمُ	«	١٢ : ٢
إنّى	وَصَمِ	«	٥ : ٩٢
إنّى	أقواما	«	١٠ : ٨٨
إن كنتِ	هشامِ	كامل	١٧ : ٥٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
ذكرَ	سُقمُ	كامل مجزوء	١١ : ٨٢
وإذا	سَجَمُ	«	٨ : ٨٢
حسدوا	الكلِمْ	رمل	١٧ : ١٠٠
نفسُ	عصاما	رجز	٦ : ٨
يا رُبَّ	مهشّمهْ	«	٧ : ٧٣
أبا قُثمْ	الكرَمْ	مجزوء الرجز	١٣ : ٢٩
فذاك	يدومُ	وافر	١٥ : ١٠
فأصبحَ	هِشامُ	«	١٢ : ٤٩
تكنُّهُ	الأَجَمَا	منسرح	٧ : ٨١
	(ن)		
إنَّ	فينا	رمل	١٠ : ١٠٦
فإنْ	أمينُ	طويل	٢ : ١٠٢
شجاعٌ	بجبانِ	«	٥ : ٥٢
فلو كان	مكانِ	«	١٤ : ٩٥
إذا	لشؤونى	«	١٥ : ٢٠
لو أن	بينُنا	«	١٢ : ٢٧
وأحلامِ	لسانِ	«	١٧ : ٨٨
يا أمّ	يؤذينى	بسيط	١٧ : ٣٨
إنّ العيون	قتلانا	«	١٣ : ١٠٩
النحوُ	يلحَنِ	كامل	١٠ : ٤
والصمت	تشينهُ	كامل مرفل	٢ : ٧
وكانت	عدواتها	متقارب	١٣ : ٥٧
وكنتُ	الحاسدينا	«	٦ : ٦٧

فهــرس أنصـاف الأبيـات

فهرس الأعلام

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

فهرس الأمم والطوائف والقبائل والعشائر والبطون والأرهاط

فهـــرس الأماكن

فهـــرس أيّام العَـــرَب

فهـــرس الأمثـال

فهـــرس الكتب

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

استدراكات

في صفحة ٤٢ سطر ٤ تحذف كلمة (غير) مع حاشيتها .

» ٦٥ تحذف الحاشية رقم ٣ ، ففي الأصل ما أثبت .

» ٧٠ تحذف الحاشية رقم ٤ ، ففي الأصل ما أثبت .

» ٧٤ نسبت المقطوعة الدالية إلى جرير ، وهي للأخطل في ديوانه ص ١٤٦ في مدح يزيد بن معاوية ، وفيها خلاف في الرواية .

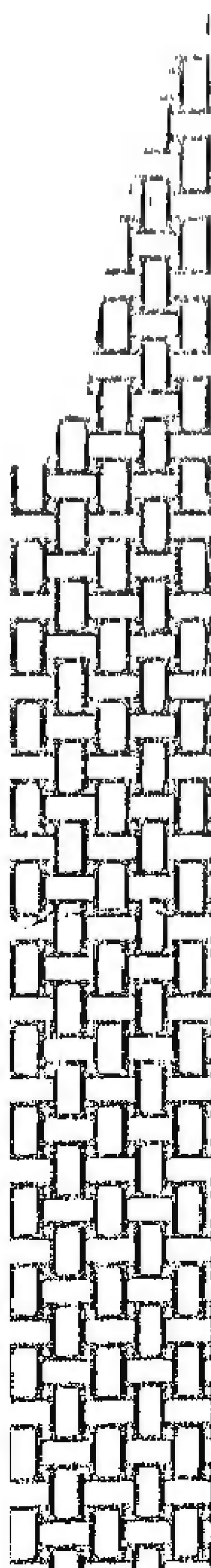
» ١١٣ يستبدل بالحاشية رقم ٣ ما يأتي : « الأخماس : جمع خمس أي واحد الخمسة من الرجال ، كان عليه السلام يختار من الخمسة رجلا يقرئه القرآن ويسمع الباقون » . ويوضح هذا مارواه الطبري في تفسيره ١٥/١ من طبعة المعارف بتحقيق الأستاذين أحمد شاكر ومحمود شاكر عن أبي العالية ، قال : قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمس رجلٌ ، فاختلفوا في اللغة ، فرضي قراءتهم ، فكان بنو تميم أعرب القوم .

» ١٢٠ تحذف علامتا الزيادة في سطري ٧ ، ٨ .

الخطـأ والصـواب

ص	س	الخطـأ	الصـواب
١١	١٠	عارضتُ	عارضتْ
٣١	٢٠	فى الأصل	فى حاشية الأصل
٣٣	١٠	أنتما	[أنتما]
٥٠	١٣	قول جرير	[قول جرير]
٥١	٢١	السمطة	السمط
٥٣	٢١	كهررة	كهورة
٥٨	١٧	وأنه	وإنه
٦٤	٥	معه	مع
٦٥	١٠	بكاء	بكاك (وهى رواية الأصل)
٧٧	٢	للرضىّ	للرضا
١١٣	١٣	فى بنى بكر بن سعد	فى بنى سعد بن بكر
١١٣	١٤	ويروى غير "بيـدأنى" "من أجل أنى" ؟	ويروى : « غير »، « ميد أنى » : من أجل أنى
١١٧	١١	ونظرتُ	ونظرتْ
١٢٤	٤	الشاكرين	للشاكرين

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/١١٤٧٣
I.S.B.N. 977-18-0000-0


307057
59039

